مطرانية الجيزة للأقباط الارثوذكس
كنيسة القديسة دميانة بالهرم

المخطوط الكامل

لسيرة القديسة دميانة



ينشر بمناسبة اليوبيل الفضى للكنيسة (١٩٧٠ - ١٩٩٥)

تحقيق وتعليق

دياكون : د. ميخائيل مكسى إسكندر



قداسة البابا شنودة الثالث

النص الكامل لمخطوط سيرة القديسة دميانة (١)

بسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين

مقدمة ناسخ السيرة (++)

«نبتدىء بعون الله وحسن توفيقه شرح خبر (وفى نسخة أخرى «ميمر» أى سيرة أو تاريخ) وضعه (نقلا عن مخطوط قبطى قديم) الأب الأنبا **يؤانس أسقف البرلس (٥٤٠ - ٦٢٠م)**، يشرح فيه شهادة الشهيدة المختارة، القديسة البارة الطوباوية العفيفة "دميانة"، عروس المسيح، وسيرتها العجيبة، وكمال سعيها وجهادها الحسن، وشهادتها المقدسة، فى اليوم الثالث عشر من شهر طوبة (٢) وتكريس كنيستها المقدسة بالزعفرانة، بوادى السيسبان (٣) كرسها (دشنها) الآب البطريرك الإسكندروس التاسع عشر من عداد الآباء البطاركة (الأقباط). (٤)

وكان تكريسها أول وثانى (مرة) فى اليوم الثانى عشر من شهر بشنس المبارك (٥). بركات هذه القديسة الطاهرة - والشهيدة العظيمة دميانة، التى غلبت العدو الشيطان - تكون معنا، آمين».

---

(١) + مخطوط رقم ٩٤٦ مسلسل تاريخ ٤٨ (١٢ بؤونة ١٤٠٠ش) ابتداء من الورقة ١٩٢ (مكتبة البطريركية)
+ مخطوط رقم ٦٦١ مسلسل تاريخ ٦٠ (مكتبة البطريركية)
+ مخطوط رقم ١٢٠ مسلسل تاريخ ٥٤٩ (مكتبة المتحف القبطى)
+ مخطوط رقم ١٢٢ مسلسل تاريخ ٥٣٨ (كيهك ١٥٤٠ش) بمكتبة المتحف القبطى.

(++) العناوين الجانبية من وضع محقق السيرة.

(٢) يرجح أن القديسة قد استشهدت فى بداية عهد دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م).

(٣) مدينة كانت تقع بإقليم البرلس بشمال الدلتا. والسيسبان، هو نبات طبى عطرى. «والزعفرانة» حالياً هى قرية الخشاشنة (مركز دكرنس دقهلية). وكانت المنطقة عامرة بالأديرة فى أيام المؤرخ «المقريزى» (١٤٣٦)، وقد ذكر أن فيها ثلاثة أديرة (وقد تخربت، فيما بعد) وهى دير المغطس، ودير العسكر، ودير الميمنة، ولم يبق هناك - للآن - سوى دير القديسة دميانة، الذى روى المقريزى أنه كان يحمل إسم «مارجرجس» (أمير نصر، القديسة دميانة الشهيدة - ١٩٨٠ - ص٥٧ - ٦٤).

(٤) القديس أنبا ألكسندروس الأول هو البابا الاسكندرى رقم ١٩ (٢٩٥ - ٣١٨م).

(٥) دشنت الكنيسة التى بنتها القديسة هيلانة (أم الملك قسطنطين) بيد البابا ألكسندروس قبل نياحته، أما تدشينها مرة أخرى فقد تم بعد إعادة بنائها - كما سيرد فى السيرة - وكان ذلك بيد البابا خائيل الأول البطريرك ٤٦ (٧٤٣ - ٧٦٧م).

مقدمة عن فداء المسيح للبشرية :

«قال (كاتب السيرة) : المجد لله الدائم الأبدى، إلى آخر الأزمان، الحى المحى، القدوس، محى الأرواح والأجساد والنفوس، العظيم الشأن، المالىء كل مكان، المطلع على قلوب البشر، الذى اشترانا بدمه الكريم، وجسده المقدس النقى، الذى بذله عنا على الصليب، الذى تدبير أسراره يعلو فوق سائر الأفكار (البشرية)، وعظم محبته شملت سائر الأقطار (الناس)، الذى لما رأى سائر البشر قد سقطوا فى الجحيم، وقد غلبهم الشيطان بطاعة آدم له منذ القديم، أكمل الأسرار الخفية، وأسلم ذاته للصليب بإرادته الإلهية، وقبل الموت بيد اليهود المعاندين، وكان ذلك بمشيئته المقدسة.

وقد استهزأ به مجمع الضلال (٦) وبصقوا فى وجهه، وكان يحتمل بشدة، حتى أنه (المسيح) قد أظهر أنه من شرف محبته لإعدائه الذين صلبوه، أنه رفع عينيه - وهو على الصليب - قائلا : «يا أبتاه إغفر لهم فإنهم مايدرون مايصنعون» (٧).

والعجب العجاب، أنه بعد القيامة من الأموات، من تاب منهم (وآمن بالمسيحية) غفر له كل الخطايا والزلات وجعل منهم رؤساء (قادة للكنيسة) وفاعلى معجزات فى شتى أصناف الأمراض بإسمه. ثم إقامة الأموات (٨). فأى لسان يورد عظم الإنعامات السيدية وأى عقل يحيط بهذه المراحم السنية !!

ثم أمرنا (الرب) أن نتبعه فى هذا الأمر (٩). كما أمر رسله الحواريين (١٠) الأطهار قائلا : «إمضوا وتلمذوا سائر الأقطار» (العالم كله) (١١). فكرز الرسل فى كل أنحاء الدنيا، وأعلنوا للناس أن المسيح المخلص، هو رب الأرباب (١٢).

فأمسكهم الكفار (من اليهود والرومان) وأهانوهم وعاقبوهم، وأظهروا فى أجسادهم (من عذابات) ما يخلب العقول (١٣). ولكنهم غلبوا الظالمين، بقوة الإله المصلوب (١٤). وكان

---

(٦) وهو مجمع «السنهدريم» اليهودى الذى حاكم السيد المسيح، وأسلمه للصلب (لوقا ٢٢:٦٦).
(٧) (لوقا ٢٢:٢٤)، وعلى مثاله فعل الشهيد «إسطفانوس» (أع ٨:٦٠).
(٨) مثل شاول الطرسوسى، الذى صار فيما بعد : رسول الجهاد القديس «بولس» (صانع المعجزات العظيمة).
(٩) نتبع المسيح حاملين الصليب بفرح وشكر (مرقس ١٠:٢١)، ونصفح عن المسيئين الينا، كما فعل المسيح له المجد.
(١٠) من «الحور» وهو البياض الناصع، دليل على نقاوة سيرتهم وسريرتهم وسيرتدون ثيابا بيضاء فى الملكوت أمام المسيح وملائكته (رؤ ٧:٩)، مع بقية المؤمنين «الأنقياء القلب»، حسب وعد الرب (مت ٥:٨).
(١١) (مت ٢٨:١٩) (١٢) (أع ٢:١٤)
(١٣) أحصينا ٢٢ نوعاً من العذابات، تعرضت لها الكنيسة الأولى (ولاسيما فى مصر).
(١٤) نغلب بقوة الله، وبوسائط نعمته، وبعمل روحه القدوس فينا.

(الرسل) يقبلون كل من يأتى اليهم ويتوب (عن خطاياه ومعتقداته الوثنية). ويتبعون قول ملكهم ومعلمهم، الذى أوصاهم بوصاياه، فما من أحد منهم إلا وذاق العذاب، وهو صابر وشاكر. وأكملوا أيامهم بعدما ثبتوا المسكونة فى الإيمان (المسيحى). ونشروا الإنجيل والرسائل والوصايا (الإلهية)، فى كل مكان، وأعلموا سائر المؤمنين (١٥)، بما قاله سيدنا له المجد، فى قوله الصادق : «ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله، وخسر نفسه؟!» (١٦). وقوله أيضاً : «كونوا حكماء كالحيات» (١٧)، يعنى دفع الجسد للموت (١٨)، وحفظ الرأس (١٩)، التى هى «الإيمان».

وأمرنا ألا نخاف من الذين يقتلون الأجساد، بعد ذلك لا يقدرون أن يقضوا بالموت على الأرواح (٢٠). وقال أيضاً : «أنا معكم كل الأيام، والى إنقضاء الدهر» (٢١). وقوله هذا حقاً وصدقاً ثابتاً محققاً (مؤكداً).

فصارت كل الخلائق - من جيل إلى جيل - مؤمنين بالإيمان المستقيم (الأرثوذكسى) والاعتقاد الصحيح، إلى مدة طويلة، وشعب الإيمان (المسيحى) متزايداً (فى العدد والنعمة)، والبيع (الكنائس) محروسة بسلامة وطمئنينة، وعلا شأن الأمة المسيحية. فلم يحتمل العدو الشرير هذا الحال!!

فحرك غبار الضلالة، وقلب الأفراح (الروحية) أحزاناً، وطغى بمكره المطيعين له، فصاروا عمياناً بالضلال (٢٢). واكتسى الجو - بعد نور الشمس - بالظلمة والسواد. والله الرحوم، له خدام أقوياء، قواهم بكلمته الأزلية، وهم ثابتون فى الإيمان السليم، كما قال الرسول بولس : «من سيفصلنى عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف ... الخ؟!» (٢٣)

---

(١٥) انتشرت المسيحية فى العالم القديم كله فى مدى خمسين عاماً فقط، بعمل الروح القدس فى النفوس الخادمة والمخدومة.
(١٦) (لوقا ٩:٢٥).
(١٧) (مت ١٠:١٦) ويرى القديس أغسطينوس أن المؤمن السالك فى الطريق الضيق «يشبه» «الثعبان» الذى يحشر نفسه - كل عام - فى شق ضيق، لينسلخ جلده القديم. كما يتشبه بالحيات التى تتخذ الحيلة والحذر فى الهرب من الخطر.
(١٨) ويرى كاتب المخطوط أنه حتى ولو تم قطع «ذنب» الأفعى، لاستطاعت أن تعيش بدونها، طالما كانت رأسها سليمة.
(١٩) «والرأس» أيضاً كناية عن رأس (قمة) الفضائل وهى «الإيمان والرجاء والمحبة» (١كو ١٢:١٢).
(٢٠) (مت ١٠ :٢٨-٢١) (٢١) (مت ٢٨:١٠)
(٢٢) تعرضت المسيحية (فى ثلاث القرون الأولى) إلى الحرب «الخارجية» من اليهود والرومان، ثم حوربت «من الداخل» بالبدع والهرطقات، التى كانت أكبر خطراً على الشعب المسيحى، وقسمت الكنيسة، وأعثرت كثيرين، والى الآن!!، وقد اعتبر القديس يوحنا ذهبى الفم كل من أثار الشقاق فى الكنيسة بأنهم أشر من الوثنيين أنفسهم.
(٢٣) (رومية ٨:٢٥-٢٩).

فسارع كل الأبطال إلى معركة الإيمان، رجالا ونساء وفتياناً وشباباً وعذارى (٢٤). وبقوة الله كانوا يقهرون الملوك الأقوياء، وصار لهم الذكر الدائم إلى الأبد (٢٥)، وهم (الآن) متنعمون فى الفردوس (انتظاراً للتمتع بالملكوت الأبدى السعيد، مع الفادى).

والآن ننتقل إلى ذكر سيرة القديسة العفيفة - عروس المسيح - المختارة البارة **"دميانة"** بركة صلواتها وشفاعتها تكون معنا - إلى النفس الأخير - آمين.

+ + +

إعلان الكشف عن هذا المخطوط القديم :

أما بعد، أيها الإخوة الأحباء المؤمنون الأرثوذكسيون، حرسكم الله بقوته الحصينة، من سائر تجارب العدو اللعين (إبليس).

أسألكم أن تصغوا بآذانكم وقلوبكم، لأتلو عليكم ماوجدته أنا المسكين **"يوحنا"** بنعمة الله «أسقفاً» (٥٤٠-٦٢٠م)، ماوصل اليّ، عن هذا الخبر العجيب، وهذه السيرة الفاضلة المقدسة، التى للقديسة الشهيدة المختارة العفيفة البارة **"دميانة"**. (٢٦)

وهو أنه لما جلست على كرسى (أسقفية) البرلس - بغير استحقاق - وصرت أسقفاً، كنت أحضر دائماً (لصلاة القداس) فى كنيسة الزعفرانة. وكانت قديمة ومهدمة. وفى وقت ما اشتقت أن أعرف سير شهداء هذه البيعة (الموجودة زخائرهم بها). ومضت مدة طويلة وأنا أفكر فى ذلك.

وبعد ذلك حضر عندى راهب من دير **"الميمنة"** (بشمال الدلتا). وكانت معه كتب (مخطوطات) قديمة. وجدت بتلك البيعة قديماً. وقد مرت عليها سنوات عديدة. وكأن الله قد حرك قلبه ليأتى بها اليّ. وقال لى : «يا أبى، خذ هذه الكتب (المخطوطات) عندك، لتستخدم **فى البيعة**، لأنك أنت أبونا كلنا (أسقفنا) وأنت مسئول عن كل البيع» (٢٧) (بالإيبارشية). وفتشت فيها فوجدتها كتباً عن ترتيب البيعة (٢٨)، ومن بينها سيرة القديسة العظيمة دميانة (٢٩).

---

(٢٤) كان بعض المؤمنين المسيحيين يتقدمون، من تلقاء ذواتهم، إلى الولاة الرومان الظالمين، ويعلنوا إيمانهم أمامهم، ولم يهربوا من الألم، لأنه «بركة» عظمى (فيلبى ١:٢٩) وله مكافأة عظيمة جداً.
(٢٥) «ذكر الصديق يدوم إلى الأبد» (مز ١١٢:٦)، بينما أسماء الأشرار تدفن معهم «فى التراب» (أى ٤:١٩).
(٢٦) معنى إسم «دميانة» الجميلة. وهى فى الحقيقة جميلة الروح والجسد.
(٢٧) «البيع» هى جمع «بيعة» وهى «الكنيسة» التى إبتاعها (إشتراها) المسيح بدمه (أع ٢٠:٢٨).
(٢٨) أى كتب طقسية لصلوات وقداسات الكنيسة (مثل القطمارس، والسنكسار، والأجبية ... الخ).
(٢٩) لم تأت سيرتها، فى المصادر الغربية، لعدم عثور علمائها على المخطوط الخاص بسيرتها قديماً، وهو الذى ننشره كاملا فى هذا الكتيب.

إعادة نسخ وتعريب المخطوط القديم (من اللغة القبطية) :

ثم أخذت دواة وقلماً ونسخته جديداً. وكان مكتوباً بخط شاب من العاملين لدى القديس **"يوليوس الإقفهصى"** (٢٠) يسمى «خريستوذولو» (٢١). وقد سجل فيه مايلى :

نشأة القديسة دميانة :

«كان إنسان يسمى «مرقس» (٢٢). وكان والياً (من قبل الرومان) على البرلس والزعفرانة، بوادى السيبان (وكان ذلك فى أواخر القرن ٣م). وكان غنياً فى المال والعبيد والمواشى والحقول والذهب والفضة، وسائر خيرات هذا العالم (المادى). وكانت له إبنة وحيدة (٢٣). ولم يكن له سواها وكانت غالية على قلبه، يحبها حباً شديداً، لأنها كانت جميلة الخلق (الطباع) وحسنة الصورة جداً، وكانت تنمو فى النعمة الإلهية».

تعميد دميانة ونموها فى النعمة :

فلما أكملت سنة من عمرها، أخذها (أبوها مرقس) وأخذ معه نذوراً وشمعاً وقرابين. وأتى بها إلى البيعة المقدسة، بدير الميمنة. وعمد الأبنة المباركة هناك. ورجع معها إلى مدينة الزعفرانة، وعمل وليمة عظيمة للمساكين، لمدة ثلاثة أيام. وكانوا يفرحون مع أبيها، لعماد إبنته.

وبعد ذلك رباها أبوها تربية روحية، وتولى المعلمون تعليمها قراءة الكتب المقدسة. وكانت دائماً تختلى بنفسها (للصلاة). **وكانت تقرأ كلمة الله وهى تبكى** (فرحاً وتعزية). فلما أكملت من العمر **خمسة عشر عاماً**، أراد أبوها أن يزوجها شاباً من أكابر مدينته.

فلما بلغها الخبر، قالت له : «ياأبى، كيف خطر ببالك هذا الفكر؟ (الآن) وأنا قد نذرت نفسى، لكى أكون عروساً للمسيح، خالق السموات والأرض. وأنا خادمة (مكرسة) له. ولم تخطر ببالى هذه الفكرة (الزواج) أبداً»!!

فقال لها : «ياإبنتى إن الزواج لا يغضب الله. وحيث أنك قد نذرتى البتولية، فلا يجب أن أغضبك» (٢٤).

---

(٢٠) كان يوليوس الاقفهصى (بمحافظة بنى سويف حالياً) يهتم بكتابة سير الشهداء، فى زمانه، وقد خصص كثير من الشباب لجمع سيرهم، وحفظ أجسادهم. وقد تعذب - فى عهد دقلديانوس - ونال إكليله.

(٢١) كلمة يونانية وتعنى «عبد المسيح».

(٢٢) كلمة لاتينية (Markos) وتعنى «مطرقة».

(٢٣) يبدو أن أمها قد تنيحت بعد ولادتها مباشرة.

(٢٤) راجع : رسالة كورنثوس الأولى (٧:٤-٢٨)

طلبات مقبولة :

فقالت : «ياأبى الحبيب، أريد منك شيئاً. وهو سهل عليك» (تنفيذه). فقال لها وهو فرحان جداً : «قولى لى أيتها الإبنة المباركة، فإننى مستعد أن أفعل لك كل ما تريديه»!

قالت : «أنا قد كرست نفسى وجسدى للسيد المسيح إلهى. وأريد منك - ياوالدى الحبيب - أن تبنى لى قصراً، بعيداً عن الناس، بحرى (شمال) هذه المدينة (الزعفرانة) أعبد فيه إلهى ومخلصى يسوع المسيح، لأنه ينبغى لى أن أختلى، لتسبيح ربى وإلهى، فى الليل والنهار، ولا يجب علىّ أن أشترك مع سكان العالم (الأشرار)، لأن سيدنا يسوع المسيح، لدى ذكره السجود (الصلاة) قال فى الإنجيل المقدس : «إذا صليت، فادخل بيتك (مخدعك)، واغلق بابك عليك، وصل لأبيك سراً، وأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية» (يوم الدين) (٢٥).

«والآن أسألك - ياأبتاه - أن تتمم مسألتى (تحقق هدفى) لكى أكون ساهرة (فى الصلاة والعبادة والتضرع إلى الله) منتظرة ورود اللص، الذى هو الموت، لأنه يأتى بغتة (فجأة). فإذا جاء (الرب يسوع) يجدنى خالية من إهتمام العالم الباطل، ويكون لى - ياأبى - بهذا (الجهاد الروحى) أعظم الأجر والثواب» (الجزاء العظيم فى الملكوت السعيد). قدام منبر (عرش) ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، المبارك إلى الأبد، آمين».

فلما قالت الست (٢٦) دميانة هذه الكلمات، ابتهج أبوها بكلامها. وزرفت عيناه بالدموع الغزيرة. وقال : «**أبشرى بالفرح** (بالحياة مع المسيح) **والإبتهاج** (بعمل الروح القدس فى قلبها)، وإننى منذ هذا الوقت، أصنع لك كما تريدين، أيتها الإبنة المباركة».

بناء قصر بالبرارى :

وللوقت أسرع وأحضر مهندساً ماهراً، ومجموعة من البنائين والدهانين (النقاشين). وقال لهم : «أريد منكم أن تعملوا لابنتى المحبوبة «دميانة» قصراً عظيماً، فى الموضع الذى أريكم إياه. ويكون فى غاية البهاء والجمال. وسيدفع لكم كل الأمناء (الوكلاء) كل تحتاجون إليه من مال، وغلال» (للأكل خلال الشغل).

---

(٢٥) (مت ٦:٦-٧)

(٢٦) كلمة «ست» (Set) فرعونية قديمة، وتعنى سيدة عظيمة (*Lady*). ومذكرها «سى» (*Si*) ويعنى «سيد» كبير الشأن (Lord)، وهى تقابل «مار» (mar) فى اللغة السريانية، ومونثها «مارت» (Mart) مثل : «مارتمريم» أى القديسة العظيمة مريم. وفى التذكير نقول : مارجرجس، ومارإفرآم السريانى ... الخ وتعنى : الرجل العظيم جرجس، والقديس الفاضل مارإفرآم ... الخ.

فقالوا له «سمعاً وطاعة، ياحاكم البلاد». وللوقت قام معهم، وتوجه إلى بحرى (شمال) مدينة الزعفرانة، وأراهم الموضع (المقترح) لبناء القصر للقديسة.

ولوقتهم جلبوا أدوات البناء والحجارة، وشرعوا فى البناء. وفى أيام قليلة إكتمل بناء القصر، وأقاموه على خمسين عموداً، وزخرفوا سقفه بالذهب الأحمر، وكسوا حائطه بالصينى (السيراميك)، وأرضه بالرخام الغالى، والمرمر والفيروز، وأقاموا مقعداً كبيراً، تجلس عليه الست دميانة، وحول الكرسى خمسمائة قطعة من حجر كريم تلمع بشدة، كنور الشمس!!

فلما إكتمل البناء وزخرفته، أعلموا مرقس الوالى، فجاء وشاهده، وفرح به، لأنه كان متعة للناظرين، فأنعم على الصناع بأفضل الهدايا، وعادوا إلى دورهم بسلام.

تعبد البتول مع الأربعين عذراء :

وللوقت أحضر (مرقس) إبنته الست دميانة، وأدخلها إلى القصر، واجتمع معها – فى ذلك اليوم – أربعون عذراء، من بنات أكابر رجال المدينة، اللواتى كن يقضين الوقت فى صحبتها، وفى ذهابها إلى البيعة، باكراً وعشية (٢٧).

وكن موافقات لرأى القديسة دميانة (فى حياة التكريس والبتولية)، وهن بنات عفيفات نقيات (القلب)، وقد عشن بالسهر (الروحى) والصلوات فى سائر الأوقات (٢٨). ويوم الاحتفال بدخول دميانة إلى القصر (للتعبد) أحضر والدها ألف جندى، وقفوا خارج القصر، لتنظيم الإحتفال (بهذه المناسبة السعيدة) لمدة سبعة أيام، ومنحهم الأموال على حسن تنظيمهم للحفل.

وبعد ذلك، أمرت الست دميانة بقفل القصر – من الداخل – بالأقفال، وأخذ (مرقس) الجند وتوجه إلى المدينة، ولم يدع خارج القصر سوى عشرة رجال، لحراسة القصر – ليل نهار – بالسلاح.

---

(٢٧) كانت الكنيسة الأولى تقيم الصلوات اليومية، صباحاً ومساء (بدون غلق الكنيسة طوال أيام الاسبوع) وكان المؤمنون يتناولون من سر «الافخارستيا» باستمرار (لنوال القوة)، كما كانوا يستمعون إلى العظات الصباحية والمسائية اليومية، (وخاصة عن حياة الشهداء)، مما ألهب قلوبهم بحب الله، والرغبة العارمة فى نوال أكاليل المجد.

(٢٨) صلوات الساعات (الأجبية) وتمتزج فيها صلوات المزامير، مع صلوات أخرى قلبية (إرتجالية) وهى عادة رسولية، وكما أمرنا القديس بولس قائلا : «متى اجتمعتم فليكن لكل واحد مزموره» (١كو ١٤:٢٦). وتمتلىء صلوات «الأجبية» بالطلبات، مع الشكر، والتمجيد، وغير ذلك من الصلوات. وتجعل المؤمنين يصلون كلهم للرب فى وقت واحد، وترفع الملائكة صلواتهم الروحية أمام عرش النعمة (رؤ ٥:٨).

أما العذراء الطاهرة دميانة – والعذارى – فلم ينقطعن عن الصلوات الدائمة، ليلا ونهاراً وصعدت صلواتهن إلى عرش الله القدوس، معطى القوة للآنية الضعيفة، حتى ينلن ميراث الفردوس.

تعيين مرقس والياً على الفرما :

وكان فى ذلك الزمان "دقلديانوس" (٢٨٤ – ٣٠٥م) ملكاً (إمبراطوراً) على الدولة الرومانية (الشرقية) التى شملت الاسكندرية (البلاد المصرية) والحبشة، والخمسة مدن الغربية (ليبيا)، ونواحيها (٣٩). وكان (الشعب) يعبد السيد المسيح، وكان لشعب النصارى الأمان والاطمئنان، وكان يسود السلام، فى سائر المدن والبلدان (٤٠).

وكان دقلديانوس محباً لمرقس الوالى، وأعطاه ولاية «الفرما» (٤١). فلما تولى هذا المنصب (رسمياً) قام بسرعة، وأتى إلى إبنته الطاهرة دميانة، وأخذ بركتها (دعواتها له بالتوفيق)، وبركة سائر العذارى، وتوجه بسلام إلى الفرما، وصار حاكماً لها.

كفر دقلديانوس :

ولما كان بعد مدة يسيرة، طغى الشيطان قلب ذلك الكافر «دقلديانوس»، وانقلب على دين السيد المسيح، وصنع له سبعين وثناً، منها خمسة وثلاثين من الذكور، ومثلهم من الإناث، وسمى الاكبر من الذكور «أبلون» (٤٢) ودعا أكبر (الآلهة) الإناث «أردميا».

وللوقت أمر بسرعة بإحضار مائة حصان أبيض، وألبسها الحرير المطرز (٤٣)، وركب هو وأكابر دولته عليها. وكانت عدتهم ثلاثون أميراً. وضرب بالبوق، عشرة أبواق من الشمال، وعشرة عن اليمين، وطافوا وهم يرتدون أفخر الملابس، ومعهم مائة وأربعون كاهناً، للسبعين صنماً، كل وثن يحمله كاهن، والثانى يبخر أمامه.

---

(٣٩) راجع كتابنا : «تاريخ كنيسة الخمس المدن الغربية» (١٩٨٦)، الباب الأول.

(٤٠) قيل أن دقلديانوس كان راعياً للغنم فى أخميم (لدى رجل مسيحى) ولما تم تجنيده فى الجيش الرومانى، أعجبت به إبنة الامبراطور السابق له، لحلاوة صوته وعزفه الجيد على آلة موسيقية. فتزوجته وصار إمبراطوراً للدولة الرومانية الشرقية (٢٨٤م) ولكنه أطاع الأشرار، وعبد الأصنام وأثار الاضطهاد المرير على كل المسيحيين (راجع تعليقنا على مخطوط «قزمان ودميان»، رقم ٦٦، ضمن هذه السلسلة).

(٤١) مدينة «الفرما» إلى الشرق من بورسعيد الحالية. وكانت عامرة بالكنائس ومنها القديس : «إسيذورس الفرمى» وقد خربها الصليبيون، فى نهاية القرن ١٢م. وقد عثر بها أخيراً على آثار رومانية ومسيحية كثيرة خلال حفر ترعة السلام فى سيناء.

(٤٢) «أبوللو» (Apollo) كبير آلهة الاغريق، و«أرطميس» (ديانا) (Diana) من الآلهة اليونانية الشهيرة (أع ١٩:٢٤).

(٤٣) تم كساء سروج الخيل بالثياب المطرزة، كما هى عادة الرومان.

وكان يسير أمامهم مناد، يصرخ بصوت عال قائلا : «يامعشر الأمم والناس، جميع أهل إنطاكية - والغرباء أيضاً - كل من يطع الملك (دقلديانوس)، ويسجد لآلهته، ينعم عليه بكل الإنعامات الجزيلة. ومن يخالف ولا يطع، يُنهب بيته، ويُحرق بالنار، ويموت شر ميتة، بعدما يذوق أصعب العذاب»؟!

وطاف الملاعين مدينة إنطاكية جميعها، وشمل الحزن جميع أهلها (من المسيحيين). وكانت بها أعداد كبيرة من الرجال والنساء والصبيان والعذارى (الذين سمعوا هذا التهديد الشديد) (٤٤).

وبعدما أكملوا الدورة المرذولة (داخل المدينة) بسط (الجند) آلات العذاب، فى موضع الحكم، ونصب (الكهنة) السبعين صنماً المرذولة. وقام الملعون «دقلديانوس»، وسجد للأوثان أولا، ثم تلاه أكابر الإيوان (٤٥) منهم من سجد، ومنهم من تأخر ولم يسجد (لأنه مسيحى) فبادره الملعون (الامبراطور) الكافر بالعذاب الشديد، ثم الموت بالسيف أخيراً، واستراحوا فى الفردوس.

تفصيل العذابات للرافضين السجود للأصنام :

فمنهم من كُشط جلده، حتى ظهر عظمه ولحمه، ومنهم من كسر ساقاه، ومنهم من سمر على الشجر. ومنهم من طحن (دق) عظمه، حتى صار كالعجين (المسحوق). وصارت شدة عظيمة، على سائر سكان المسكونة (٤٦)، وغاب نور الإيمان (٤٧)، وكسى الجو سواد الطغيان!

وللوقت ظهرت شجاعة أبناء المسيح الأبطال، ولم يخافوا من هذا الملك الشرير، وهجموا على آلات العذاب (٤٨)، وأظهروا من المعجزات مايخلب عقول الناظرين (من الوثنيين)!!

---

(٤٤) انتشرت المسيحية «فى إنطاكية» (بشمال غرب سوريا) فى أيام الرسل وفى وقت مبكر جداً من التاريخ المسيحى (أع ١١:١٩).

(٤٥) الايوان أو الديوان، وهى كلمة فارسية، تعنى مقر الحاكم، أو كبار ولاة الأقاليم.

(٤٦) عانت الامبراطورية الشرقية من اضطهاد «دقلديانوس» بشدة ولاسيما فى مصر وليبيا، والشام، وقد اتخذت الكنيسة القبطية أول سنة لحكم «دقلديانوس» بداية التاريخ القبطى (٢٨٤م).

(٤٧) وقد تعرض الاقباط إلى نحو ٢٢ نوعاً من العذاب، وعاش بعضهم فى الصحارى المصرية والجبال .. الخ

(٤٨) تقدم الشهداء - بكل شجاعة - إلى أدوات التعذيب، ونالوا بركة الألم، من أجل الايمان المسيحى، وتطوع الشباب بالذهاب إلى الولاة الرومان «من تلقاء ذواتهم» واعلنوا إيمانهم أمامهم (دون أن يقبضوا عليهم)، ونالوا كل أصناف العذابات. ثم استراحوا فى فردوس النعيم، وهى دعوة لنا لكى نتمثل بايمانهم، ونظرتهم «للألم»، ونفرح بحمل صليب الرب دائماً، ونشكر المضطهدين لنا، كما قال أحد القديسين «لا تتضايق من الذين يصنعون إكليلك». وقال آخر «من تحمل كلمة صعبة (وهو مظلوم) يعتبر شهيداً».

مرقس الوالى أمام الشيطان البشرى :

والآن، فلنعد إلى شرح الموضوع الخاص بنا (سيرة القديسة دميانة) وما حدث لمرقس والد القديسة دميانة. فقد أرسل دقلديانوس الكافر، وأحضره من الفرما إلى إنطاكية، مع جملة من الولاه الذين أحضرهم من سائر الأقاليم (فى الشام وتركيا واليونان ومصر وليبيا). وكان بينه (مرقس) وبين الملك دالة قديمة وصداقة، لأنه كان شيخاً وقوراً.

فقال له الملك : «مابالك - يامرقس - تتأخر عن السجود للآلهة المنجية، التى أعطتنا الغلبة على سائر الممالك (المعادية)، وأنت عين (أهم) كل الأصحاب لنا، وكبير الولاة. أما تنظر ما كان من البطريرك، فى أمر إبن ملك الفرس (٤٩)!!، فلا تتأخر ياأخى، فإنك محبوب عندنا».

وبهذا الكلام اللين، والتلاطف، انخدع مرقس الوالى (كما انخدع آدم وحواء بكلام الحية الماكرة). ولوقته بخر للآلهة (الأوثان) مع الملك، وظل على هذا الوضع (لمدة) شهر من الزمان (فى طاعة للشيطان)!!

توبيخ الروح القدس للوالى مرقس :

فلما وصل الخبر (الحزين) إلى إبنته الست دميانة. وكان قد رجع إلى الفرما. قامت القديسة بسرعة - وبصحبتها الأربعين عذراء - وأوصت الحراس - المقيمين خارج القصر - بحراسته لحين عودتها. وسافرت إلى الفرما، واجتمعت بوالدها.

فلما رآها فرح جداً، لأنه كانت له مدة (طويلة) حين فارقها (تتعبد فى قصرها). فلما فرغ من السلام والتحية، قالت له : «ياأبى، ما هذا الخبر الذى سمعته عنك؟! الخبر الذى أرعب قلبى، وأحزن نفسى جداً!! فقال لها : «وما هو ياإبنتى؟!».

فقالت له : «سمعت عنك إنك تركت دين المسيح، الإله القوى الذى خلقك، وبخرت للأصنام العمياء، التى لا فائدة تُرجى منها. فهى حجارة مصنوعة بيد بشر، قال عنها البار داود النبى : «أنها تهلك، مع كل صانعيها» (٥٠)، وكل من يتوكل عليها. انظر ياأبى إلى

---

(٤٩) فى تعليقنا على مخطوط سيرة «قزمان ودميان» هامش ومتن (ص ٦-١١) ناقشنا قصة البطريرك الأنطاكى «أغابيوس» الذى زعمت بعض الروايات أن دقلديانوس قد أودع لديه إبن ملك الفرس، المأسور بمعرفته فى الحرب، ولكنه هرب من عند البطريرك المذكور. ولما طلبه الإمبراطور منه، أخبره بأنه مات. وكان الملك قد قام بأسره مرة أخرى. وكشف له ذلك، وبذلك عاد الامبراطور وانقلب على المسيحية (بسبب هذه العثرة). وهى قصة إختلف فيها المؤرخون، ولم ترد فى المصادر الموثوق بها.

(٥٠) (مزمور ١١٥:٤-٨).

فوق، وارفع نظرك، وتأمل بهجة السماء، المقامة بالحكمة الإلهية، من غير شيء يسندها. وما فوقها من ربوات (عشرات الألاف) الملائكة النارية (٥١) والطقوس العلوية (٥٢)، وكرسى العرش المتقد بالنار (٥٣)، والجالس عليه الإله القوى، الذى أرواح سائر الخلائق بيده، لأنه هو خالقهم. فكيف خطر على قلبك (أن تنكر الرب) وفعلت هذا (التبخير للأصنام)؟!».

«فأنا أكون غريبة عنك فى هذا الدهر، وفى يوم قيامة الأجساد، ولا أعرفك فى وادى يوشافاط (٥٤)، قدام الموقف المرهوب، ولا يكون لك نصيب، ولا شركة فى الميراث الأبدى (٥٥)، وهذا هو آخر خطابى (حديثى) معك»!!

الندم على حماقة إنكار الإيمان :

وللوقت لما سمع أبوها منها هذا الكلام، استفاق، مثل السكران الذى إحتسى الخمر بكثرة (استيقظ ضميره)، وللوقت صرخ (ندماً)، وبدأ بالبكاء والنوح، وقال : «ويلى أنا الخاطىء!!، كيف تجرأت وفعلت هذا؟ (التبخير للأصنام)، لأنى جعلت اعتمادى على الأحجار، ومسكن إبليس رأيى (٥٦)، وسجدت لها»!!

«مباركة هى تلك الساعة التى رأيتك فيها. أيتها الإبنة المباركة. قد إنتشلتينى من جب العمق (٥٧). فقد أدركت إننى فى عمق باطن الأرض (الهاوية)، فى ظلمة شديدة!!، والآن، أنا أشعر - من هذا الوقت - كأننى محمول على أجنحة الرياح (الملائكة) (٥٨)، وليس لى شهوة (للحكم) ولا فكرة (٥٩)، ولا اهتمام فيما كنت فيه (من جاه وسلطان). وأنا مستعد للموت على إسم المخلص، الذى هو يسوع إلهى. آمنت به، وأعتمد عليه، وعلى إسمه أموت، ومعه أحيا إلى الأبد» (٦٠). وقام بسرعة وسافر إلى مدينة إنطاكية.

---

(٥١) أو الملائكة النورانية (أو النارية أيضاً، لأن الله خلقها من النور والنار) (مز ١٠٤:٤، دا ٧:١٠، عب ١:٧)

(٥٢) النظم الإلهية المرتبة من الله بدقة - واتقان عجيب - للكون الواسع، والقوانين الثابتة التى تحكمه.

(٥٣) تحمل العرش الإلهى طغمة «الكاروبيم» (مز ١٨:١٠) أى المتقدين بالنار، كما يصف الكتاب الرب بقوله : «إلهنا نار آكلة» (تث ٤:٢٤) وعندما تجلى «لموسى» فوق جبل سيناء، دخن الجبل بالنار (خر ١٩:١٨).

(٥٤) وادى «يهوشافاط» هو المنخفض الواقع بين مدينة القدس وجبل الزيتون، ويرى بعض المفسرين أن السيد المسيح سينزل به بعد مجيئه الثانى للأرض، للقاء المؤمنين، وهناك أيضاً سيحاكم الأشرار.

(٥٥) (ابط ١:٤).

(٥٦) أى المعبد الوثنى الذى يسكنه الشيطان، وأن التبخير للأوثان هو طاعة لعدو الخير.

(٥٧) «الجب» هو رمز «للهاوية» (مز ٢٨:١) وهو المقر المؤقت (السجن المعد)، للأشرار الذين يموتون فى خطاياهم وكان به كل مؤمنى العهد القديم إلى أن نزل المسيح (إلى الجحيم) وخلصهم (زك ٩:١١)، ويقال أنه بأسفل الأرض (أش ١٤:١٥)

(٥٨) كلمتا الريح والروح، هما واحد، فى اللغتين العبرية واليونانية.

(٥٩) أفكار أخرى تخرج به عن موضوع «خلاص نفسه».

(٦٠) قال أحد القديسين : «الله لن يسألك : لماذا أخطأت؟ ولكن : لماذا لم تتب؟!».

اللجوء إلى سلاح الصلاة لكى يسنده الله :

ورجعت الست الطاهرة دميانة - وبصحبتها العذارى - إلى الزعفرانة. وفتحت قصرها. ووقفت معهن تصلى كعادتهن. وكانت تسأل السيد المسيح قائلة : «اللهم ربى وإلهى، الذى لا يشاء موت الخاطىء، بل إن حياة كل واحد موجودة عندك. شدد يارب قلب أبى (فى جهاده)، لكى يموت على إسمك القدوس. ولا تؤاخذه - ياإلهى - على ما تجرأ به من المخالفة، وعصيانه (الوصية)، وسجوده لصنعة الأيادى (الأصنام) لأنك ياسيدى تعلم بعجز ونقص طبيعة البشر، وليس أحد يخلو من الزلل. وعدونا واقف، ساهر كالأسد، يلتمس من يبتلعه (٦١). وكما أخرجت يونان النبى، من بطن الحوت سالماً، يارب إقبل اليك (توبة) أبى، هذا الذى كان الشيطان قد إبتلعه».

«وأنا أسألك - ياالله الرحوم - أن تثبته (على الإيمان المسيحى) إلى أن يسفك دمه على إسمك القدوس، لأن لك المجد والعز، إلى آخر الدهور والأزمان كلها، آمين».

الشهادة بشجاعة للإيمان السليم :

وأما والد القديسة دميانة **"مرقس"**، لما وصل إلى الملك الكافر (دقلديانوس) فى مدينة إنطاكية، ودخل أمامه، صاح - قائلا : «ما هذا التغيير الذى حدث لك؟ أبعد عبادة إله السماء، الذى أرواح كل الخليقة بيده، صرت تعبد حجارة، لا نفع منها، وتسكنها الشياطين؟! ولا يجب عليك - أيها الملك - أن تبدل صحة الإعتقاد بيسوع المحيى، بطين الفساد» (الأصنام الطينية) (٦٢).

ثم رسم ذاته بعلامة الصليب المقدس، وهو واقف قدام الملك، بحضرة الوزراء والحجاب (رجال البلاط) والعسكر، وجمع كبير من أهالى المدينة. وصرخ (صاح بصوت عال) قائلا : «آمنت بالآب والابن، والروح القدس، الإله الواحد».

فلما رأى دقلديانوس الكافر هذا (الموقف) من مرقس الوالى، جن جنونه، ثم قال لمن حوله : «ما هذا الذى حدث لمرقس الوالى، حتى أنه احتقر ما أنعمنا عليه به، أكثر من كل الولاة؟! والآن قد انتهك حرماتنا، وتحدث بما لا يليق أمام الشعب، ونفخه المنصب الرفيع».

ثم خاطبه قائلا : «كيف انقلبت - ياصاحبنا - عن مودتنا، وتركت عبادتك (الوثنية)

---

(٦١) (ابط ٥:٨).

(٦٢) يبدو من هذا النص أن دقلديانوس كانت لديه معرفة بمبادىء المسيحية الرئيسية، التى عرفها عن قرب (فى أخميم) قبل إلتحاقه بالجيش الرومانى، كما تذكر بعض المصادر القبطية، بأنه كان خادماً لأسقفها.

وآلهتنا التى أعطتنا النصرة على الأعداء؟! واحتقرتنا. ونسيت ما عملناه معك من الجميل. وتكلمت بهذا الكلام اللعين؟! أسرع الآن وارجع إلى عقلك. وتعال أسجد لأبللون الكبير، وأرطميس (ديانا) أم الآلهة».

فحمى القديس بنار الروح القدس. وصاح فى وجه الملك - قائلا : «إخجل أيها الملك الكافر بتصرفاتك الرديئة، وأوثانك الحجرية. فإنه لا إله - فى السماء ولا على الأرض - إلا يسوع، والآب الصالح. والروح القدس. ثالوث قدوس. إله واحد. به آمنت. وعلى إسمه أموت، ومعه أحيا (إلى الأبد). والآن لن تسمع منى كلمة أخرى. أيها الملك»!!

فاغتم الملك غماً شديداً (لعدم كسب مرقس إلى رأيه الفاسد) وقال لرومانوس وزيره : «ما هو العمل مع هذا الانسان؟! لأنه كان أعز أصحابنا. وهو الآن صار عدواً لنا»!!

فقال له رومانوس : «أما الصداقة فقد نفاها. والعداوة قد ثبتت فى قلبه. ويبدو لى أنه لن يوافق رأينا أيها الملك. ومن الأفضل أن تسرع بقطع رقبته، لئلا يقلده باقى أصحابك (الولاة) وتفقد هيبتك وسلطانك».

نيل مرقس إكليل الشهادة :

وللوقت كتب قضيته (حكم عليه بالموت) وأمر بأخذ رأسه بحد السيف. فأخرجوه إلى موضع قطع الرقاب بإنطاكية. وللوقت صلى (مرقس) صلاة طويلة. وبعد صلاته أمر الجنود قائلا : «أكملوا ما أمركم به الملك - ياأعوان الظلم - لأنكم إخترتم لكم نصيباً ردياً».

فللوقت ضرب جندى ردىء رقبته بسيفه، فتدحرجت على الأرض. وصعدت روحه إلى الملكوت، بيد الخالق الأبدى. ونال إكليل الشهادة فى اليوم الخامس من شهر أبيب المبارك (٦٢) وصار يشفع فى الخطاه. بركة صلواته تكون معنا. آمين.

مشورة الصديق الشرير :

والآن نعود - أيها الإخوة - ونخبركم عن السبب الذى دعا إلى ذكر القديسة دميانة أمام الملك (دقلديانوس) مع أنها كانت بالزعفرانة - بوادى السيسبان - مع بقية أخواتها العذارى. ساهرات فى الصلوات ليلا ونهاراً، دون أن يفكر فيهن أحد (من الولاة).

من بعد استشهاد والدها. فى اليوم التالى. جلس الملك دقلديانوس. ورومانوس الوزير

---

(٦٢) فى أواخر القرن الثالث الميلادى.

بجواره، وهو حزين على قتل مرقس الوالى. فقال له رومانوس : «أيها الملك. عش إلى الأبد. فقد بلغنى من أحد أصدقائى، أن مرقس الوالى لم يترك مودتنا وعبادتنا (الوثنية) إلا بسبب ابنته «دميانة» المقيمة بالزعفرانة فى قصر جليل. كان قد شيده لها والدها. وبصحبتها أربعون عذراء. وقد أحادته عن طريقنا (العبادة الوثنية) ولهذا السبب كفر بنعمتك - أيها الملك - وهى الآن بالزعفرانة. تعظ سائر من يأتى اليها. وتعلمهم أن يرفضوا آلهتك - أيها الملك - ويعبدون (يسوع) المصلوب. ويثبتون على الإيمان به».

+ + +

وعد ووعيد شديد :

فلما سمع الملك الكافر (كلام وزيره الشرير) غضب جداً. وملأه أبوه الشيطان بالغضب الشديد. وعلى الفور أمر أحد الجند (٦٤) قائلا : «خذ معك مائة جندى. واذهب إلى الزعفرانة، وأنظر فى أمر هذه (المدعوة) دميانة. التى تسكن فى قصر (هناك) وهى إبنة مرقس الوالى. التى سيطرت على والدها. وأبعدته عن مودتنا. واخدعها (بكلمات معسولة) قائلا لها : «يقول لك الملك دقلديانوس. ضابط الدنيا كلها. الذى له السلطان على الدولة الرومانية (الشرقية)، والديار المصرية، أن تسجدى للأوثان. وأن تبخرى لها. لأنها قد أعطتنا الانتصار على كل الممالك! وتقولى : «أنت أبللون. الإله الحق»!!

«ويكون كلامك معها بلطف ومخادعة (٦٥). فإن أطاعت. أنا أبنى لها قصراً ثانياً. يكون أعظم من الأول. وأدفع لها من الأموال كل ما أرادت. وإن هى رفضت ولم تطع، تعذبها أشد العذاب. ولا تدع عذاباً شديداً. إلا وتذيقه لها. وأخيراً تضرب رأسها بحد السيف. هى والعذارى اللواتى معها».

«وفى سفرك من هنا، ورجوعك إلينا. لا تدع أى عذاب ممكن إلا وتستخدمه مع المسيحيين (الأقباط) عابدى المصلوب. وإنى مستعد أن أقضى عليهم تماماً (٦٦). فى كل بلادى.

فلما سمع الأمير وصية الملك الفاسد. قبل يده النجسة. وأخذ مائة جندى. وركب جواده قاصداً (مكان سكنى القديسة دميانة). وكان كل من يقابله من المسيحيين يطالبه بعبادة

---

(٦٤) يبدو أنه وجه كلامه إلى أحد كبار القواد - أو الأمراء - كما سيتضح لنا من السياق، فيما بعد.
(٦٥) يلجأ الأشرار إلى خداع المؤمنين بكلمات معسولة، وتقديم إغراءات مادية كثيرة، ولكن المؤمنين لا ينخدعون بأباطيل العالم الفانية، لأنه : «ماذا يستفيد الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟!» (مت ١٦:٢٦).
(٦٦) تقول المصادر التاريخية القبطية أن دقلديانوس قتل من أقباط مصر ... ٨٤٠ قبطى، ولكنه لم يستطع أن ينتزع الإيمان المسيحى من مصر، رغم شدة عذاباته للشعب المسيحى، ودوامها سنوات طويلة، وذلك لتعمق حب الله فى القلوب - منذ الصغر - وارتباط المسيحيين بالكنيسة، وبوسائط النعمة القوية ... الخ.

الأصنام. فقتل فى طريقه شهداء كثيرين، إلى أن وصل الى الزعفرانة، وضرب خيامه حول القصر، وكان آخر النهار.

مبتدأ الأوجاع :

فلما أطلت القديسة دميانة من رواق القصر، أبصرت الخيام منصوبة، والجنود حولها. فدخلت وقالت للعذارى : «ياأخواتى، أقبلن وانظرن». فأتين بسرعة، وتطلعن، ثم قلن : «ما هذا ياسيدتنا؟!، «انهم جنود أشرار» (رومان وثنيون).

فقالت لهن : «هؤلاء من عسكر الطاغية دقلديانوس. وهم يقصدون عذاب المسيحيين. وما أظن أنهم أتوا إلى هنا إلا بسببنا!! والآن - أيتها الأخوات - قمن (هيا بنا) لكى نصلى إلى المسيح إلهنا، ونسأله أن يقوينا، لكى ننال أكاليل الشهادة على إسمه». فقمن كلهن وصلين، وبعد الصلاة جلسن. فقالت لهن الست دميانة «أيتها الأخوات الروحانيات، قال سيدنا يسوع المسيح، فى الإنجيل المقدس : «الذى يحب نفسه يهلكها (يتعبها من أجل الله) ومن أهلك (بذل) نفسه من أجلى، فهو يحفظها إلى حياة أبدية» (٦٧).

«وأنا الآن أعلمكن (صراحة) : من كانت واحدة منكن تريد نيل إكليل الشهادة، فلتقف ههنا (معى) ومن لا تطيق العذاب، فلتنزل سراً (من القصر ليلا) وتهرب إلى حال سبيلها».

الثبات على الإيمان :

فلما سمعت جميع العذارى كلام القديسة دميانة، بكين وقلن : «لن نفارقك، وأنت السبب فى حياتنا مع الله. لن نتركك ونمضى إلى العالم الزائل، وسنموت كلنا معك».

وفيما هن يتكلمن، دق الباب. فأمرت الست دميانة واحدة من العذارى بأن تنزل وتنظر من الطارق؟! فقال لها **الأمير** : « قولى للست دميانة عبدك الأمير فلان، رسول الملك دقلديانوس، يريد أن يكلمك بكلام من عند الملك». وصعدت العذراء وأعلمت القديسة دميانة بما قاله الأمير، فأمرتها أن تفتح الباب.

فدخل الأمير، وصعد إلى الطابق الثانى من القصر، ودخل الى القديسة، فرأى وجهها ينير بالبهاء (بنور سماوى). فقال لها : «السلام لك يادميانة، التى افتخر الولاة بذكرها، وشاع ذكرها وأشتهر مقامها الرفيع، فى الولايات (الرومانية). وأنا أقول لك - ياسيدتى - إن الملك يطلب منك، أن تعبدى آلهته، وتبخرى لها، لينعم عليك بما تطلبينه، ولو لنصف مملكته. والآن جئت إليك بهذا الخبر المفرح»!!

(٦٧) (يوحنا ١٢:٢٥).

منطق الحق :

فلما سمعت الست دميانة من الأمير هذا الكلام، وقفت وقالت بصوت عال : «لعنت الرسالة ومرسلها!! يأيها المرذولون (من الله) أما تستحون أن تسموا الأحجار، والذهب والفضة والخشب - الساكن فيها الشياطين - آلهة؟! ألم يكن لكم عقلا فهيماً؟! كيف يكون الصنم، الذى لا يتحرك - وتحمله كهنته من موضع إلى موضع - تدعوه إلهاً؟! ليس إله فى السماء وعلى الأرض إلا يسوع المسيح الخالق، مع أبيه الصالح، وروح قدسه الأبدى، القوى، المالك، والمالىء كل مكان، الذى لا تحيط به الظنون، والعالم الخفى عن العيون، والعالم بالأسرار قبل حدوثها، الذى يغلبكم - ياعباد الأوثان - بكأس الموت المر. وبعد موتكم يلقى بكم فى الجحيم المنتن (٦٨)، هناك يكون لكم العذاب الدائم والشنيع، بظلمة مدلهمة (٦٩) ومعكم الشيطان الذى أطعتموه - أيها الأرذال - فى خزى أبدى».

«أما أنا الآن، فإنى عبدة لسيدى يسوع المسيح - مخلصى - وأبيه الصالح، وروحه القدوس، الثالوث الأقدس. به أعترف، وعليه أتوكل، وباسمه أموت. وبه أحيا، إلى الأبد، آمين».

العذاب الأول للقديسة دميانة :

فلما سمع منها الأمير هذا الكلام، غضب جداً، وصر على أسنانه، وأمسك بالقديسة، ونزل بها من أعلى القصر، إلى خارج، وأمر بتعذيبها.

وللوقت تم رفعها على الهنبازين (٧٠)، وأمر بعصرها، فشعرت بعظم الآلام، وكانت العذارى واقفات بجوارها يبكين.

فرفعت الست دميانة وجهها نحو السماء، وصاحت قائلة : «أيها الوحيد الجنس، الإبن الوحيد للآب، يسوع المسيح الذى أصعده اليهود على الصليب، مسمراً بين لصين. وكان ذلك بإرادتك. أصعد عقلى - ياإلهى - من الإهتمام بالجسدانيات، إلى تدابيرك السمائية. واقبل منى هذا التعب «الأول»، على إسمك المقدس، لأن لك المجد والإكرام، الآن وكل أوان، وإلى دهر الداهرين، آمين».

(٦٨) يرى بعض الآباء القدامى (المفسرين) أنه من بين أنواع العذاب الأبدى - البدنى والنفسى - استنشاق الروائح الكريهة جداً، كما جاء فى سفر أشعياء النبى (أش ٢٤:٢)، وطبقاً لما جاء فى رؤيا قديمة لقديس يدعى غريغوريوس السريانى، عن مواضع العذاب، والنعيم الأبدى.

(٦٩) رغم أن جهنم «نار» إلا أنها أماكن مظلمة، وشديدة السواد، لايرى فيها غير جماعات الشياطين المرعبة، تمر باستمرار، أمام الأشرار، فى البحيرة المتقدة بالكبريت والنار (رؤ ٢٠:١٥).

(٧٠) آلة تعذيب ذات تروس داخلية، كان يديرها أربعة رجال.

وكان الرجال يبذلون الجهد وتعبوا (من إدارة الآلة الجهنمية) فجرى دم القديسة دميانة على الأرض مثل الماء!! وكان الرب يثبّت إيمانها، ويقويها (على احتمال التجربة الصعبة). وكانت تتكلم (لم تمت).

فلما رأت العذارى باكيات من حولها، قالت لهن : «ياأخواتى، لا تبكين، لأن سيدنا يسوع المسيح له المجد، احتمل عنا الآلام، لأجل خلاصنا، ومات عنا (على الصليب) بالجسد. ولم تكن له خطية يستوجب بها الموت، بل كان ذلك بالجسد (بالناموت) ليخلص آدم – وجميع نسله – من الجحيم. فإذا كان الإله القادر قد تقبّل الموت والصلب (عنا) بإرادته، وهو لم يخطىء قط، فكم يجب علىّ – أنا عبدته – أن أطلب الموت، وأقبله بسرور. «لأن أوجاع هذه الدنيا لا توازى المجد المزمع أن يظهر فينا» (٧١). (كما) قال بولس الرسول الطوباوى».

وتعب الرجال من دوران (آلة) الهنبازين، حتى صار لحم القديسة وعظمها مثل العجين، وكانت تتكلم (لازالت حية)، فتعجب جميع الحاضرين!! ثم أمر الأمير بأن يودعوها «السجن» (٧٢)، وهى فى شدة الألم!!

فيالكثرة الأتعاب التى نالها الشهداء والقديسون، من الكفرة الأردياء، إلا أن فرح ومجد ملكوت السموات لا يوصف (٧٣).

تعزيات السماء للقديسة :

فلما أغلقوا عليها باب السجن (الحبس)، كانت العذارى معها هناك، ولم يكلمهن الأمير (لم يسىء اليهن). ومن الحزن نعسن ونمن، بينما كانت القديسة البارة دميانة (مستيقظة) وهى فى شدة الألم، وعلى حافة الموت!!

وللوقت نزل إليها رئيس الملائكة "**ميخائيل**" ، المعزى لجميع الشهداء (٧٤). وأنار الضوء الشديد السجن كله!! وحياها بالسلام، ثم لمس جسدها (الممزق) بأجنحته النورانية، فشفيت من سائر الأوجاع. ولم يبق بجسدها جرحاً واحداً!! ثم أعطاها الملاك ميخائيل السلام، وصعد إلى السماء، بمجد عظيم.

---

(٧١) «آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا» (رومية ٨ :١٨).

(٧٢) ربما تم حبسها فى إحدى حجرات القصر ذاته، وتم تعيين حراسة عليها من الخارج.

(٧٣) «ما لم تره عين، وما لم تسمع به أذن، وما لم يخطر على قلب بشر، ما أعده الله للذين يحبونه» (١كو ٢ :٩).

(٧٤) الله لا يترك أولاده فى الألم، بل يرسل ملائكته لترعاهم، وتخفف عنهم آلامهم. أى أن الله لا يمنع «الألم» عن المؤمنين، بسبب «بركاته» لهم (فيلبى ١ :٢٩) ويشاركهم آلامهم، ويقويهم على احتمالها، ويعزيهم فيها، فيفرحون بها جداً (يع ١ :٢) وقد نزل مع الفتية الثلاثة فى أتون النار، ومع دانيال فى جب الأسود.

إيمان كثيرين بالمسيح :

وفى باكر اليوم التالى، أمر الأمير بإحضار القديسة دميانة إلى مجلس الحكم. فلما وقفت بين يديه، ونظرها سالمة، ولم يوجد فى جسدها جرح أو خدش، قال : «يادميانة، حقاً إن صناعتك فى السحر جيدة. والآن سوف أبطل أسحارك».

ولما رأى الحاضرون القديسة سالمة من الجراحات، صرخوا – بفم واحد – قائلين : «لتخجل أيها الظالم، أنت وملكك الكافر. نحن نجهر بأننا مسيحيين، مؤمنين بالرب يسوع المسيح، إله هذه القديسة العفيفة الست دميانة. ونموت بالموت الذى تموت به هذه الشهيدة، عروس المسيح» (٧٥).

استشهاد كل المؤمنين الجدد :

فلما سمع منهم الأمير هذا الكلام، أمر بقطع رؤوسهم بحد السيف، ونالوا أكاليل الشهادة، وصاروا شفعاء فى الناس. ولم يجسر أحد أن يأخذ أجسادهم. بل كانت ملقاه بجوار أعمدة القصر الخارجية. بركاتهم تشملنا. إلى الأبد آمين.

عذابات جديدة للقديسة الشهيدة :

ثم أمر الأمير بأن يقدموا اليه الست دميانة. فأمر بتشريح لحمها بأمواس حادة وفعل بها ذلك أعوان الشيطان (وتحملت التجربة الجديدة) وهى صابرة بقوة السيد يسوع المسيح، الذى إختارها أن تتعذب على إسمه القدوس. فقبلت الألم بفرح وشكر لله.

وبعد ذلك أمر الطاغية بأن يدلكوا جلدها (الممزق) بقطع من شعر الخنزير، مع خل عتيق، وجير حى!! فالتهبت أعضاءها. وعانت القديسة من شدة الألم!! فيا لكثرة الأتعاب التى ينالها الشهداء والقديسون، لكن فرح ومجد ملكوت السموات لا يوصف (٧٦).

صلاة فى الحبس :

ثم ألقى بها الجند فى الحبس، وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة، وحولها العذارى باكيات سراً (فى هدوء) وقالت القديسة وهى فى شدة الألم : «اللهم، ربى وإلهى، خالق السموات والأرض وكل ما فيها، الذى طبعه (صفاته) الرحمة والحنان، الذى بعظم رحمته يسمع دعاء المساكين، الذين يدعونه بقلب نقى، ويستجيب طلباتهم (الروحية) فى تدبير خلاصهم. الآن ياسيدى، أنا أمتك (عبدتك) المسكينة. قوينى على سائر الأتعاب، وامنحنى قوة سمائية، لكى أقهر كل أعوان

---

(٧٥) احتمال القديسين للآلام يعطى «القدوة» الصالحة لغير المؤمنين، ويؤكد على صدق الإيمان وسلامته وصحته.

(٧٦) (١كو ٢ :٩).

الشيطان، الذين تركوا معرفتك – ياإله الحق – وأطاعوا العدو المعاند. نجنى من أجل إسمك، واشركنى مع القديسات العفيفات (الشهيدات)، اللواتى أكملن جهادهن (الروحى) قبلى، لأنك إله صالح، ومحب البشر، ولك ينبغى السجود والتمجيد، إلى دهر الدهور كلها، آمين».

معونة السماء للعذراء دميانة :

فلما أكملت صلاتها، نزل إليها الملاك الجليل **"ميخائيل"** رئيس الملائكة، وبسط عليها أجنحته النورانية، وأضاء المكان كله كالبرق، فغشى على العذارى وصرن كالأموات!!

وقال لها الملاك الجليل ميخائيل : «سلام سيدى (يسوع) يكون معك، أيتها الشابة العفيفة دميانة». ثم مسها بيده الطاهرة، فشفيت لوقتها، كأنه لم يكن بها ألم البتة، وصعد إلى السماء بمجد عظيم.

فأيقظت القديسة العذارى قائلة : «ياأخواتى قمن (استيقظن من غفوتكن) ها الرب قد أرسل ملاكه، وشفانى من جميع الأتعاب، فله الشكر والحمد (منى) أنا أمته الضعيفة، لأنه قد أظهر قوته فىّ، كما قال الرسول بولس، معلم الكنيسة «إن قوة إلهنا فى الضعف تكمل» (٧٧). وإن الضعف (الجسدى) الذى يكون بسماح الله (للمؤمن) أقوى من قوة الناس الأقوياء (ذوى السلطان) فله المجد والشكر والسجود، إلى الأبد، آمين».

استشهاد دفعة أخرى من الحاضرين :

فلما فرغت القديسة من كلامها (مع العذارى)، أرسل الأمير أتباعه إليها قائلا : «امضوا إلى السجن، وأحضروا دميانة، إن كانت لا تزال بها حياة!! وإن وجدتموها قد ماتت ألقوا بها (فى القبر) واعلمونى، كى أمضى إلى الملك، لأن لى مدة (طويلة) منذ فارقته، حتى لا يقلق علىّ».

فلما مضى الجند إليها، وجدوها جالسة تضىء بنور عظيم، وهى تعظ كل من حولها. فأخذوها وأتوا بها إلى موضع الحكم. وكانت تصيح بصوت عال قائلة : «إهدموا خيامكم (وارحلوا) ياملاعين (من الله) ياعباد الأوثان، ليس إله قوى – فى السماء وعلى الأرض – إلا إله المسيحيين الذى شفانى من أوجاعى!! لقد رأيتم بالأمس ما كنت فيه، بما عذبتمونى به، من عذابات شديدة، وها أنا الآن صحيحة (البدن) وقد شفانى ربى وإلهى يسوع المسيح».

فلما رآها الحاضرون (من الوثنيين) صرخوا قائلين : «ليس إله (حق) إلا إله المسيحيين. ونحن الآن مؤمنون بإله هذه القديسة، الست دميانة!!

(٧٧) (٢كو ١٢:٩).

وللوقت أمر الطاغية بقطع رؤوس الجميع. وكانوا عدداً كبيراً. ولم يجسر أحد أن يأخذ أجسادهم، بل كانوا بجوار أجساد الذين استشهدوا أولا – بسبب القديسة – بجوار القصر، بينما صعدت أرواحهم جميعاً إلى **ملكوت السموات** (٧٨). بركاتهم تشملنا، إلى النفس الأخير، آمين.

+ + +

شهادة للحق وعذاب جديد :

ثم قال الأمير للست دميانة : «أما كفاك – أيتها الفتاة العنيدة – أن يهلك كل هؤلاء، الذين هلكوا بالسيف بسببك؟! فتعالى الآن، واسجدى إلى «أبللون» كبير الآلهة. وتطلعى إلى بهائه!! وما أعظم دهانه (لمعانه أو بريقه) ...».

فقالت له القديسة دميانة : «حسناً تنبأ السعيد **"داود"** االنبى، ملك إسرائيل، عن آلهتك (أوثانك) أيها الطاغية، وقال : «آلهة الأمم ذهب وفضة. لها أعين ولا تنظر، ولها أنوف ولا تشم، ولها أرجل ولا تمشى، ولها أيدى ولا تلمس، وليس لها أصوات فى حناجرها. فليكن صانعوها كمثلها، وجميع من يتكلون عليها (٧٩)، الذين هم أنتم ياملاعين وأنجاس (٨٠)، يخزيكم الرب الإله».

فلما سمع الأمير – من الست دميانة – هذا الكلام، تنهد قائلا : «آه، لقد أغاظتنى هذه البنت الصغيرة!! ولم أر مثل جهادها على أحد، من الرجال الأبطال (فى الحروب)، وسوف يحل بها العقاب الأليم، وأريها مثلما تفوهت به، وقللت من كرامتنا»!!

وللوقت أمر أعوانه بتعذيبها. فضربوها بمرزاب حديد، من أسفل قدميها إلى رأسها!! ثم وضعوها فى إناء كبير، وصبوا عليها شحم الخنزير والزفت، وأوقدوا تحت الإناء بالنار. فارتفع اللهيب من فم الإناء إلى فوق، بمقدار عشرة أذرع. **ولم تمت** ، لأن الرب كان يحفظ روحها فى جسدها.

(٧٨) تصعد أرواح الشهداء والقديسين، والمؤمنين بخلاص المسيح، (الذين أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة) محاطة بالملائكة الأبرار المرنمين بقيادة الملاك «سوريال» إلى «الفردوس»، كما أعلن السيد المسيح «للص» اليمين (لو ٢٣:٤٣) أما «ملكوت السموات» (النعيم الأبدى العظيم) فسوف يدخلونه بعد القيامة، وينالونه فى استحقاقات دم المسيح الفادى.

(٧٩) (مزمور ١١٥:٤-٨).

(٨٠) العبادة الوثنية : كانت كلها دنس ونجاسة، حتى داخل مذابحها ومعابدها أيضاً، حيث كانت الفتيات يهبن أنفسهن للآلهة، وتتم الدعارة والزنا، برضى كهنة الأوثان!!

وكانت تسبح الله تسبيحاً متزايداً، وأعضاءها كانت تلتهب بالنار!! فما أكثر الأتعاب، التى نالها الشهداء من الأعداء (الوثنيين) الظالمين، لكن مجد الملكوت لا يوصف.

نجدة أخرى من السماء :

وللوقت نزل رئيس الملائكة العظيم ميخائيل - من عند الرب - وبسط أجنحته النورانية على الخلقين (الإناء) فأطفأ ناره (خفض من درجة حرارة الإناء) ثم رفع الست دميانة منه، وأوقفها كاملة، صحيحة (البدن)، ولم يكن فى ثوبها رائحة للنار قط!! وصعد إلى السماء بمجد عظيم.

إيمان دفعة أخرى من الوثنيين واستشهادهم :

فقامت القديسة وأتت إلى الأمير، وقالت بصوت عال : «أتيت إليك، أنت وأبوللونك (Apollo) الحجرى، وأنا (معى) ربى يسوع المسيح» (٨١).

فإلتفت الأمير وقال للجالس بجواره : «ماذا تكون هذه الصبية؟! وما سر قوتها، التى جعلتها تحتمل شدة العذاب؟! والآن عقلى احتار من هذه العذراء»!!

وفى تلك الأثناء، صاح الحاضرون بفم واحد قائلين : «نحن مسيحيون علانية، نؤمن بإله هذه القديسة الست دميانة». وكانوا جموعاً كثيرة!! فأمر الطاغية بأخذ رؤوس الجميع، وألقوا بأجسادهم مع بقية الشهداء (السابقين) تحت القصر (فى الطابق الأول).

ثم التفت الحاجب - إلى القديسة دميانة - وقال لها : «ما الفائدة الحاصلة لك من قتل كل هذه الخلائق، وتصيرى مطالبة بدمائهم، لأنهم جميعاً قتلوا بسببك؟! فكيف تحتملى دماء هؤلاء جميعاً» (٨٢).

فأجابت القديسة قائلة له : «أيها الأحمق (٨٢)!! إذا أردت أن تدخل إلى ملكك الكافر، فإنك تقدم هدايا تسبقك لديه، لكى يكون دخولك قدامه مقبولا (منه). وهو ملك (ترابى) سيموت مثلك، فكم بالحرى يجب على أنا؟! : أن أقدم هدايا ناطقة : ذبائح مقدسة، قرابين مقبولة، أرسلتها إلى السماء (قبل وصولى إلى هناك). وهم (الشهداء) الآن قدام منبر (عرش) المسيح الخالق، منتظرين قدومى لهم. وأنا أسأل (أطلب) من إلهى القادر (أن يساعدنى)، لكى يكللنى مثلهم

(٨١) «إن كان الله معنا، فمن علينا؟!» (رو ٨:٢١).
(٨٢) الشرير لا يعترف بخطئه وانما يلقى بمسئوليته على غيره.
(٨٢) الخطية تؤدى إلى بلادة الذهن، والغباء المستحكم، فيتصرف الخاطىء كالأحمق، ولا يعرف أين الصواب من الخطأ.

(بأكاليل المجد)، وأحظى بالإجتماع بهم (مع المسيح)، فى ذلك الدهر العتيد» (فى الفردوس السعيد).

+ + +

دفاع جديد عن الإيمان بالمسيح :

فتعجب الأمير - ومن معه - من حكمة الست دميانة، والنعمة الحالة عليها، وفصاحة ألفاظها (٨٤)، وكلامها الذى بعقل وترتيب (بمنطق وتسلسل سليم)!!

فأمر للوقت بحبسها فى السجن، حتى يفكر كيف يميتها. وبعد يومين أمر بأحضارها أمامه فلما حضرت القديسة قال لها : «أهلا بالست دميانة، شريفة الحسب، كريمة الأصل، جليلة النسب، التى تحدثت سائر الناس بفضائلها!! هل طاب قلبك لكى تسجدى لآلهة الملك، وتخلصى من كل هذا التعب؟!».

فقالت له : «أيها الطاغية، إن الحكيم لا يقبل المجد الزائل (الدنيوى) ولا السبح (المديح) الباطل. والجاهل (٨٥) مثلك (روحياً) لا يمل من قبول المجد الفارغ (محبة المديح) وسيدنا يسوع المسيح له المجد الدائم، قال فى إنجيله المقدس، وهو أصدق القائلين : «ويل لكم إن قال فيكم جميع الناس حسناً، لأنكم قد أخذتم أجركم». (٨٦) (من الناس فى الدنيا).

«وأنا الآن لا أطيع مشورتك الردية، لأن نهايتها سم الموت. لأن الخطية تبدو حلوة ولذة فانية، وتؤدى إلى جهنم!! أما كفاك - يامجنون - ما حدث أمامك؟! وما ارتعدت بالذى فعله معى إلهى، من العجائب القوية؟! أين هى قوتك، وقوة آلهتك (أصنامك) ياعنيد الرأس؟! (الوثن) الذى لا يقدر أن يتحرك من مكانه كيف يقدر أن يعين غيره؟!».

«اخجل من تصرفاتك - أيها الجاهل الأحمق - واعلم أن إلهى ضابط أقطار الدنيا (الكون)، باسط الأرض ورافع السماء بغير عمد (أعمدة) ولا أحد يعرف حكمته (العالية عن البشر) (٨٧). له التمجيد، إلى دهر الدهور، آمين».

+ + +

(٨٤) وعد الرب بأن يدافع «الروح القدس» عن أولاده أمام الولاة ويعطيهم حكمة عظيمة للإقناع (متى ١٠:١٩-٢٠).
(٨٥) الذى ينكر وجود الله إنسان «جاهل» (مز ١٠:٤، ١٤:١).
(٨٦) (لو ٦:٢٦).
(٨٧) (رو ١١:٢٢-٢٤).

عذابات أخرى للقديسة الصابرة :

فلما قالت هذا الكلام، صار الأمير فى قلق (حيرة) عظيم، وتنهد من صميم قلبه. وبسرعة أمر الأعوان - خدام الشيطان -فأتوا ببلطة نجار، وقوروا بها طبقة من رأسها. ثم صبوا فى دماغها (داخل الجمجمة) زفتاً وكبريتاً ورصاصاً!!

ثم قلعوا عينيها، وسلخوا باقى جلد رأسها حتى صدرها، وصبوا عليها الزفت المغلى بالنار فشعرت القديسة بشدة العذاب المتزايد. فيالكثرة الأتعاب، التى نالها الشهداء، من أعوان الشيطان، ولكن فرح ومجد السموات لا يوصف.

وكان الرب يثبت روحها فى جسدها (فلم تمت). وصرخت قائلة : «يسوع هو إلهى، يسوع هو رجاى، يسوع هو قوة خلاصى. أيتها **الممتلئة نعمة** (٨٨) ومجد، أم النور الإلهى "**مريم**"، سيدتى العذراء الطاهرة. اشفعى فى سائر الشعب المسيحى». قالت هذا، **وخرجت روحها من جسدها !!**

معجزة ظاهرة من السماء :

وللوقت نزلت حمامة بيضاء (٨٩)، ووقفت فوق رأس القديسة المجاهدة الست دميانة، ورفرفت بأجنحتها أمام عينيها!! وعلى الفور نهضت، وقامت (من الموت) من غير ألم، صحيحة العينين، سليمة الدماغ، وليس بها أى مرض (جرح)، ثم طارت الحمامة فى الجو، واختفت عن أعين الناظرين!!

ولما رأت الجموع هذه المعجزة الظاهرة صرخت قائلة : «المجد لله فى علاه. المجد لله الأبدى، مظهر العجائب فى قديسيه!! الآن نسألك - أيتها القديسة العفيفة دميانة - إسألى الرب عنا، ليغفر لنا خطايانا».

ثم تقدموا إلى الأمير، ووبخوه قائلين : «لقد افتضح أمرك، أيها الضال المضل، اللعين الكافر، أنت وملكك المرذول، وأوثانك النجسة، التى ليست لها قوة فاعلة. ونحن الآن نعلن جهاراً إننا مسيحيين، مؤمنين بربنا يسوع المسيح».

دفعة جديدة من الشهداء (من الجنسين) :

فأمر الأمير بسرعة قطع رقابهم. وكانوا جمعاً كثيراً جداً. ونالوا الأكاليل المجيدة، وعيدوا

(٨٨) (لوقا ١:٢٨).

(٨٩) وهى ترمز «للروح القدس» (لو ٣:٢٢) الخالق للكون المادى والكائنات الحية التى فيه (تك ١:٢)، وهو الذى أقام القديسة دميانة من الموت، وأعادها إلى الحياة، بدون أية إصابات أو عاهات!!

مع السيد المسيح، الذى اختارهم (ليرثوا الملكوت السعيد). وكانت شهادتهم فى اليوم الأول من شهر طوبة (فى أوائل القرن الثالث الميلادى) شفاعتهم تكون معنا. آمين.

+ + +

حبس العذارى الحكيمات الأربعين :

وبعد ذلك، قال الأمير للسجان : «خذ هذه البنت العنيدة، التى خربت هذه البلاد، وجرت أهلها لعبادة المصلوب (يسوع)، وقتلناهم (بسبب إيمانهم) وكانوا من الكبار، ومن النساء، ومن الشباب!! إجعلها فى حبس مظلم، واقفل عليها بالأقفال (الترابيس)، ودع معها صاحباتها العذارى» (الاربعين).

ثم التفت نحو العذارى وقال لهن : «قلن لصاحبتكن "**دميانة**" أن تطيعنا. لأن مخالفتها لنا، ستجر عليها ويلات وشرور ردية»!!

فأخذهن السجان، وأدخلهن داخل حبس مظلم، وقفل الأبواب. وفى الحال قامت العذارى (الحكيمات) **للصلاة** (طلباً لمعونة الله). وللوقت أضاء عليهن نور سماوى، وصار كمثل ضوء الشمس داخل الحبس!!

وبعد عشرة أيام، قال الأمير لأعوان الشيطان : «هاتوا البنت دميانة. لعلها تكون قد انثنت (غيرت رأيها) عما كانت عليه (من الإيمان بالمسيح) لتعبد آلهتنا. ونرتاح نحن وإياها من هذا الإنزعاج كله. لأنها قد أثارت ضدنا أهل هذه البلاد».

فلما فتحوا الباب، ورأوا النور (داخل الحبس) سجدوا قدام القديسة وقالوا لها : «ياسيدتنا دميانة، الأمير يدعوك».

فقامت للوقت، وهى تردد المزمور القائل : «مراراً كثيرة حاربونى أعدائى، (٩٠) ... إلى آخره». فلما مثلت قدام الأمير (الماكر) قال لها : «أيتها الست العفيفة دميانة، أطيعى الآن، واسجدى لآلهة الملك، لتنالى عطايا كثيرة»!!

عذاب آخر للقديسة المجاهدة :

فقالت له الست «جميانة» (أى دميانة فى القبطية : Damiani) : «قد حار عقلى من عظم جهلك، لأن كلمة (= نصيحة) واحدة تكفى العاقل (٩١)، وأنا أقول لك : إننى لن أعبد

(٩٠) (مزمور ١٢٩ : ١).

(٩١) يقول المثل الشائع : «من لا يسمع للنصيحة، لا يسلم من الفضيحة».

آلهتك النجسة. وقد فرضت على عقاباً شديداً؛ وكان إلهى يشفينى (كل مرة). فتستحق الحرق (فى جهنم) أنت وملكك الكافر»!! (٩٢).

فلما سمع منها هذا الكلام (التوبيخ الشديد) أمر بسرعة برفعها وشدها بين أربعة أوتاد طوال، وأن تقطع أعضاؤها (قطعة قطعة)!!

وللوقت، اتجهت القديسة نحو المشرق (٩٣)، وصلت - مع العذارى - قائلة : «ياإله القوات، المسيح إلهنا، قوينى ياسيدى على احتمال هذا العذاب (الجديد) على إسمك القدوس، لأن لك، وبك يليق المجد والإكرام، إلى الأبد، آمين».

فلما فرغت من صلاتها، قالت للعذارى (الأربعين) : «ياأخواتى، أذكرننى فى صلواتكن، لكى يقوينى المسيح على هذا العذاب» (٩٤).

ثم تقدمت لأعوان الشيطان (رجال الأمير) وقالت لهم : «مابالكم واقفين بلا عمل؟! إعملوا ما أمركم به سيدكم، ياأعوان الظلم»!! وللوقت علقوها على الأعمدة، وقطعوا أعضاءها جزءاً جزءاً، كمثل السمك (عند إعداده للطهى). **فأسلمت الروح!!**

فأمر الأمير بأن يلقوا جسدها للوحوش المفترسة - يوم وليلة - فلم يقرب منها وحش!! وكان الحاضرون - مع العذارى - يبكون عليها!!

مجىء السيد المسيح ومعه أم النور وملائكة أبرار :

وإذا برعود فى السماء، وزلازل عظيمة على الأرض، حتى أن الحاضرين وقعوا مغشياً عليهم، وصاروا كالأموات!! ونزل رب المجد يسوع - الإله الحقيقى - راكباً على مركبة الشاروبيم (وهم طغمة من الملائكة الأبرار يحملون العرش الإلهى)، والست العذراء الطاهرة «مرتمريم» جالسة عن يمينه، ورؤساء الملائكة الأطهار يسبحونه تسبيحاً لا ينطق به (تسبيحاً مجيداً).

---

(٩٢) (رؤيا ٢٠:١٥).

(٩٣) أتجاه الكنائس - والمؤمنين للصلاة - نحو الشرق، عادة رسولية، جاءت الإشارة إليها فى الدسقولية (تعاليم الرسل) وتؤكدها التقاليد، والشواهد الأثرية القديمة الباقية.

(٩٤) إذا كنا نطلب من الأحياء الصلاة من أجلنا - كأمر إلهى - فبالأولى ينبغى أن نتشفع بالشهداء والقديسين، القريبين من عرش النعمة، ولهم دالة عظيمة عند مخلصنا، وهم يسمعون المؤمنين، ويستجيبون لرجائهم، بسبب محبتهم لهم.

ورفع المخلص صوته وقال : «لك أقول - أيتها الإبنة المباركة دميانة - قومى (من الموت) من غير فساد». وللوقت قفزت قائمة كأنها كانت نائمة!!، وسجدت للمخلص (له المجد).

فقال لها يسوع : «تشددى أيتها المختارة (من الله) هوذا - الآن - قد أعددت لك إكليل عرسك السمائى، **فى فرحى الدائم**. وقد بقيت لك (هذه) المرة فقط، وتنالى الأجر العظيم، بسفك دمك بالسيف. وسأجعل صيتك شائعاً دائماً - مؤيداً بالعجائب - فى هذا الموضع، الذى يتم بناء كنيسة فيه على إسمك، ويكون فيه غفران الخطايا بإسمى واسمك (عند التشفع بها) ويكون ذكرك إلى آخر وقت (فى الدنيا)، وتحل بركتى - وبركة والدتى العذراء الطاهرة - فى هذا الموضع إلى إنقضاء الدهر». وبعدما إنتهى المخلص من هذا الكلام، أعطاها السلام، وصعد عنها بمجد عظيم، إلى علو السموات.

إيمان أعداد أخرى بالمسيح :

وأيقظت القديسة دميانة العذارى، وبقية الحاضرين (من الغفوة التى حدثت لهم، هلعاً من المنظر السماوى العجيب). ومضت بسرعة إلى لقاء الأمير، فى مجلس الحكم، وحضر عدد كبير من بلاد البرلس والزعفرانة والبلاد الأخرى القريبة.

فصاحت بأعلى صوتها وقالت : «المجد لله فى الأعالى، وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة» (٩٥). (وأضافت قائلة) : «إخجل أيها الأمير (من أفعالك) الآن، لأن سيدى ومخلصى **يسوع المسيح**، قد أقامنى (من الموت) بعدما - قطعت أجزاء جسمى، وهشمت عظامى!! وها أنا - الآن - واقفة (أمامك) صحيحة العقل، سليمة البدن»!!

وللوقت لما رآها كل الحاضرين (سليمة تماماً)، صرخوا قائلين : «إخز ياملعون، لقد افتضح أمرك يامنافق!! نحن كلنا مؤمنون بإله هذه القديسة : الست «دميانة»». ثم أخذوا حجارة، ورجموا بها الأمير!!

+ + +

نوال القديسة إكليل الشهادة مع العذارى وكل المؤمنين معها :

فقال أحد الرجال إلى الأمير، وهو يجلس بجواره : «لقد قاومنا هذه الصبية، ولنا مدة (فى تعذيبها) ولم نستطع أن نميل أذنها إلى رأينا، ولم نسترح ساعة واحدة، لأن هؤلاء القوم (المؤمنين بالمسيح) **أقوياء على احتمال العذاب**. والآن - أيها الأمير - أشير عليك بأن تأخذ (تقطع) رأسها بحد السيف، وتتوجه بسرعة - من هذا الموضع - إلى الملك،

---

(٩٥) (لوقا ٢:١٤).

لاستلام خدمتك (عملك الرسمى) لئلا تحصل لك إهانة من الملك، بسبب تأخيرك كل هذه المدة».

فاستحسن الأمير رأيه، وقبل منه المشورة. وللوقت كتب قضيتها (حكم عليها بالموت) هى والأربعين عذراء، وسائر الذين آمنوا (فى المرة الأخيرة) وكانوا كثيرين جداً. فأخرجهم جند الشيطان، من ذلك المكان، إلى بحرى (شمال) مدينة الزعفرانة، **وأخذوا رأس القديسة المجاهدة المختارة العفيفة "الست دميانة"، هى ومن معها، بحد السيف** (بركة صلواتها وشفاعتها، تكون معنا جميعاً، آمين).

وكان عدد الذين استشهدوا، بسبب القديسة العفيفة النقية البارة «دميانة» **أربعمائة نفس،** صعدت أرواحهم إلى ملكوت السموات (الفردوس) وصاروا شفعاء - فى الناس - قدام الله، الذى سفكوا دماءهم على إسمه القدوس.

وكان إتمام شهادة البارة المختارة دميانة - وبقية الشهداء معها - فى اليوم الثالث عشر من شهر طوبة. **ونالت ثلاثة أكاليل نورانية. الواحد لأجل بتوليتها، والثانى لأجل جهادها وعذابها، والثالث لأجل سفك دمها بالسيف.** بركاتها وشفاعتها تكون معنا أجمعين - إلى النفس الأخير - آمين.

+ + +

إنقضاء زمان الاضطهاد الوثنى :

ثم ركب الأمير الخيل - هو وجنده - وسافر بسرعة راجعاً إلى ملكه الكافر (دقلديانوس). وبعد ذلك وضعوا أجساد الشهداء بجوار بعضها، مثل خلايا النحل المرصوصة. وتركوها هكذا إلى أن إنقضى زمان الاضطهاد (الرومانى) وتملك الملك البار **"قسطنطين"** (٩٦). وكان هذا الملك كالنجم الزاهر بين عساكره (٩٧).

وأمر ببناء البيع (٩٨)، وهدم البرابى (٩٩). وأمر بأن يجمعوا أجساد الشهداء - من كل مكان - ويبنوا الكنائس، ويضعوا زخائر القديسين تحت المذبح، وتكون نفقة البناء من بيت الملك (من مال الإمبراطور).

(٩٦) أصدر قراراً فى ميلانو سنة ٣١٢م بإعتبار المسيحية «ديانة شرعية» (Religio Lecita) فى الإمبراطورية الرومانية.
(٩٧) انتصر على أعدائه - غرب بحر قزوين - عندما ظهرت له رؤيا مقدسة، وطالبه الرب برسم علامة الصليب المقدس على راياته، فأطاع صوت الله، وانتصر بقوته، وطاعته لوصيته، وقبل المسيح مخلصاً له.
(٩٨) «البيع» هى الكنائس، وهى التى إبتاعها السيد المسيح (اشتراها) بدمه الزكى.
(٩٩) هى معابد وثنية (فرعونية) قديمة، تم تحويلها الى كنائس قبطية، ولاسيما فى صعيد مصر.

بناء كنيسة على إسم القديسة دميانة (فى البرارى) :

وفى وقت لاحق، بلغه خبر (سيرة) القديسة الشهيدة المختارة البارة الست «دميانة» وما جرى لها (من عذابات) والأجساد الموضوعة بأسفل القصر، بالزعفرانة بوادى السيسبان. وأخبروه بما صنعته من العجائب.

فللوقت أمر والدته القديسة «هيلانة» بالذهاب إلى مصر، وجهزت معها أكفان حسنة، وصحبتها أعداد كبيرة من العساكر. وسارت إلى أن وصلت إلى القصر الموصوف لها، فوجدت الأجساد موضوعة - كمثل خلايا النحل المرصوصة - وتباركت منها، وأتت إلى سلم القصر، وصعدت إلى الطابق الثانى، حيث كان جسد الشهيدة دميانة موضوعاً. فقبلته وتشفعت بالقديسة، وتباركت أيضاً بأجساد الأربعين عذراء، اللواتى كن يرقدن فى نفس الموضع، مع جسد القديسة دميانة.

وكفنت جسد الست البارة الشهيدة المختارة «القديسة دميانة» بكفن غالى الثمن جداً، وأمرت بصنع سرير من العاج - ثمين القيمة ومتقن الصنعة - ووضعت جسد القديسة فوقه، وتمت إحاطة الحجرة بستارة من الحرير المحلى بخيوط من الذهب. وشيدت فوق القبو كنيسة جميلة، بقبة صغيرة.

وحضر الأب البطريرك **"ألكسندروس"** (٢٩٥-٣١٨م) ودشنها فى اليوم الثانى عشر من شهر بشنس. ورسم لها أسقفاً قديساً، لأن أسقف الزعفرانة والبرلس كان قد نال إكليل الشهادة، من جملة الشهداء الموضوعين فى هذه البيعة، ورتب لها كهنة وشمامسة وخداماً يقومون بالصلوات الليل والنهار (١٠٠). وعاد إلى كرسيه. ورجعت الملكة هيلانة بسلام (إلى القسطنطينية).

+ + +

هدم بيعة القديسة :

ثم إننا وجدنا خبراً آخر (فى مخطوط آخر) بعد مدة، فاخترنا أن ننقله، مع هذه السيرة الصالحة، التى نتلوها اليوم على مسامعكم، وهو أنه لما استمر الأمر برفع الصلوات والقداسات - فى هذه البيعة المقدسة - وكثرت زيارات الناس لها، بالنذور والشموع والبخور، وذاع صيت القديسة دميانة، كما وعدها السيد المسيح له المجد، تقاطرت الجموع على زيارة كنيستها من كل البلاد، بسبب العجائب الحاصلة بها.

(١٠٠) كانت الكنائس تفتح طوال النهار والليل، لممارسة صلوات الساعات (بالأجبية) وحضور القداسات والإجتماعات اليومية الصباحية والمسائية.

واستمر ذلك الحال إلى أن دخلت ملوك (ولاة) العرب إلى الديار المصرية (سنة ٦٤١م). وفى سنة مائة وعشرين لدخول الإسلام البلاد، كان ملكهم (الوالى العربى) فى ذلك الزمان (٧٦١م) يسمى "سنان"، الخليفة بمصر (١٠١).

وكان فى دولته رجل ردىء جداً يسمى «يونس» وذات يوم اجتاز بمدينة الزعفرانة، فوجد هذه البيعة الجميلة. فأحب أن يمكث هناك!! (يسكن بها). وللوقت أحضر بعض البنائين، وهدم تلك البيعة، وعملها قصراً عالياً. ولم يكن يعرف القبو، الذى وضعت فيه أجساد الشهداء، أسفل هذا المكان. وكان يصنع فيه أسحاراً كثيرة، وكان يستخدم الجن، وكانوا يطيعونه فى كل ما يأمرهم به!! وكان الأشرار يأتون له بنساء الملوك، لإكمال نيته الخبيثة!!

وقد بلغت شرور هذا الرجل قمتها، عندما كان يسطو (بعصابته) على بلاد الإفرنج ويخطف النساء، لغرضه الردىء!! وذات مرة استولى على إبنة ملك الإفرنج، واعتدى عليها، ثم هربت وعادت إلى أبيها، وأعلمته بما جرى لها. فلوقته نادى فى مملكته، وجمع سبعين مركباً، فيها سبعة آلاف محارب بأسلحة كثيرة (١٠٢). وقال لهم : «أنا آمركم أن تستولوا على الجسر الذى بيننا وبين الزعفرانة وتقطعوه (١٠٣) حتى يهلك ملك تلك النواحى».

فامتثلوا لأمر الملك (المسيحى) وقادوا المراكب بسرعة (نحو الشاطىء المصرى) وبعد قليل ملكوا الجسر وقطعوه. فنزلت (اندفعت) المياه بسرعة (من البحر المتوسط) وأغرقت البلاد (الشمالية) وأوقعت ذلك القصر، الذى كان يعيش به الساحر، وسقط عليه البناء، ومات ميتة ردية! وانحدرت نفسه إلى الجحيم، مع أبيه الشيطان، الذى كان يطيع أمره،ويعمل مراده!!

وأغرق الماء سائر البلدان والمدن، وكان كالطوفان الذى حدث فى أيام نوح. إنحدرت المياه إلى حد حائط كنيسة سمنود، المسماة «صهيون» (١٠٤) بالجانب الغربى، عند القلعة القديمة. ونزلت المياه المالحة فى بحر سمنود (فرع دمياط) فصار مالحاً.

---

(١٠١) فى مخطوط آخر سمى «حسان بن عتاهية» (السنكسار ١٢ بشنس).

(١٠٢) لعل الكاتب يقصد أحد ملوك «جزر البحر المتوسط» المسيحية، لكى يهاجم بأسطوله البحرى دلتا مصر.

(١٠٣) لعله يقصد السد الترابى، الذى أقيم على فرع دمياط. وبذلك تطغى مياة البحر المتوسط على مياة النيل، وتغرق منطقة البرارى (شمال الدلتا). ومكان هذا السد - حالياً - عند مدينة فارسكور، وتم إحلال كوبرى خرسانى محله أخيراً.

(١٠٤) «صهيون» (Zion) هى المنطقة الجنوبية من مدينة أورشليم (التى أصبحت عاصمة لداود النبى) وكانت مكان قصره الجديد (٢صم ٥:١١) وفيما بعد أطلق الإسم، على كل المدينة المقدسة (مز ١٢٦:١، أش ١:٢٦،٢٧)، وترمز لها روحياً مدينة «أورشليم السمائية» (عب ١٢:٢٢-٢٤)، وهى مقر المفديين، مع السيد المسيح، حيث يعيشون معه إلى الأبد فى حياة تسبيح دائم (رؤ ٢١،٢٢)، وبذلك تكون «صهيون» هى كنيسة العهد الجديد.

ووصل الخبر إلى سنان ملك الاسلام بمصر (الوالى العربى بالفسطاط) بأن البلاد (الشمالية) خربت من الجسر الذى انقطع. فحزن غاية الحزن، عما كان يتحصل عليه من الأموال (الضرائب) لأن هذا الإقليم كان يثمر نبات الزعفران (الطبى) وسائر الحشائش العطرة (العطرية)، التى كانت تستخدم «كأدوية» غالية الثمن جداً.

مؤامرة شيطانية، وتمجد الله مع شعبه :

وفيما هو يفكر فيما يصنعه (بطوفان البحر على شمال الدلتا)، وكان محتاراً فى أفكاره، دخل عنده رجل يهودى، كان يتردد عليه فى أكثر الأوقات، لأجل ضبط (حساب) أموال السلطنة، وكانت لكلماته (نصائحه) القبول لديه.

فلما رآه ذلك اليهودى، وهو قلق جداً، لهذا السبب (طغيان البحر) قال له : «يعيش مولانا الخليفة (الوالى) إلى زمان (طويل). لا يدخل عليك هم، من جهة هذا الأمر، يامالك الزمان. أرسل وأحضر بطريرك النصارى، وإلزمه بهذا الشىء، فإنه يرد كل شىء إلى أصله (انحسار مياة البحر عن شمال الدلتا) لأنه يقدر على فعل مثل هذا الأمر»!! وقال ذلك الملعون (اليهودى الماكر) هذا الكلام، لأن مراده أن يقضى على الأقباط بتلك البلاد (١٠٥). فقال الملك (الوالى) سنان لأعوانه : «امضوا بسرعة واحضروا لى بطريرك الأقباط».

فلما حضر إليه البطريرك (١٠٦)، قال له : «أريد منك يابطريرك النصارى، أن ترد (ترجع) المياة، التى خربت البلاد (إلى البحر)، وتبنى الجسر، كما كان أولا، لأن أناساً قد أعلمونا إنك تقدر على هذا»!!

فلما سمع الأب البطريرك، سكت وامتلأ قلبه بالحزن!! فقال له الملك (الوالى) : «ما بالك ساكت!! وحياتى وقبر أبى، إن لم تعمل ما طلبت منك، لن أبقى على أحد من النصارى القبط، لا كبير ولا صغير، وأهدم كل كنائسهم»!!

فلما سمع اليهودى الملعون، صاحب الفتوى (الماكرة) كلام الشر (ضد الأقباط) وبلغ سهمه الذى رماه (إلى هدفه) وارتشق فى القلوب! وظن الشقى أن ضربته قد أصابت، وحقق

---

(١٠٥) تماماً مثل مؤامرة اليهودى الماكر «يعقوب بن كلّس» صديق الخليفة المعز لدين الله الفاطمى، وهو الذى تآمر ضد الأقباط، فى عهد البابا «إبرآم بن زرعة» فى أواخر القرن ٩م، وتمجد الله على يدى الرجل البار «سمعان الخراز». وتم نقل جبل المقطم بمعجزة باهرة وظاهرة.

(١٠٦) لم يذكر الكاتب - للمخطوط الأصلى - إسم هذا الأب البطريرك، وهو البابا «خائيل الأول» البابا ٤٦ (٧٤٢-٧٦٧م).

مأربه (غرضه) فرح فى قلبه!! ولم يعلم هذا المحروم (من النعمة) أن إلهنا معنا، حسب قول الصادق - فى إنجيله الثابت إلى الأبد - إذ قال له المجد : «أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر» (١٠٧).

ثم قال الملك (الوالى) للأب البطريرك : «أسرع بعمل هذا فى الغد»!!

فقال له الأب البطريرك وهو حزين : «أمهلنى عدة أيام».

فقال له : «أمهلتك ثلاثة أيام»!

ونزل الأب البطريرك من القلعة (مقر الوالى العباسى) وقد غمره - مع كل الشعب - الحزن العميق، بسبب هذا الأمر (الصعب). ودخل الأب - الراعى الصالح - القديس البطريرك، إلى داخل بيعة الست السيدة (١٠٨) بالمعلقة. وقال للخدام : «إغلقوا على باب الكنيسة، ولا أحد يحضر عندى إلا بعد ثلاثة أيام»!!

فاعلية الصلاة والصوم فى وقت الضيق :

ووقف يصلى قدام أيقونة السيدة (مريم) أم الرحمة «بالمعلقة». وكان يقول فى ختام كل صلاة : «ياشفيعة ومنجدة، لكل من إلتجأ اليك. ياخادمة سر الآله ووالدة بالجسد، لأجل خلاصنا، ياأم النور الحنونة، أيتها العذراء الطاهرة، خلصى شعبك من هذه التجربة الصعبة. وثبتى بيعتك (١٠٩) ولا تشمتى بنا الأعداء، لئلا يقول المخالفون : أين إلهكم؟!».

وظل على هذا الحال (مصلياً وصائماً)، إلى كمال ثلاثة أيام. وفى نهاية الليلة الثالثة، كلمته السيدة العذراء الطاهرة - من أيقونتها المقدسة - قائلة : «اخرج أيها الراعى الأمين، فإنى آتى معك. وباكر يأخذونك إلى الخليفة (الوالى) فلا تجزع ولا تقلق، لأن إبنى الحبيب قد استجاب طلبتك، ودموع كل الشعب!! وفى توجهك (إليه) تجد إنساناً أشقر، على رأسه قفة، وهو صفى (نقى القلب) وقديس، قد أرضى إبنى الحبيب، وهو مسيحى فى كل تصرفه (يسير حسب تعاليم الإنجيل) خذه معك رغماً عنه، وأنا أجعل الماء يرجع إلى مستقره (فى البحر المتوسط). بسلام إبنى الحبيب، وقوة أبيه الصالح. وفرح الروح القدس (١١٠). يكون لك، آمين».

وفى الصباح أتى إليه خدام الملك (الوالى). وفيما هو سائر معهم، وجد ذلك الرجل الأشقر، الذى أخبرته به السيدة أم الرحمة (أم النور مريم) فأمسكه الأب البطريرك من ثوبه من الخلف!!

---

(١٠٧) (مت ٢٨ : ٢٠).

(١٠٨) كانت كنيسة المعلقة (مصر القديمة) تسمى باسم «العذراء»، وقيل أنها قد تسمت بعد ذلك باسم القديسة «دميانة»، ثم أعيد إليها اسمها الأول. وقد تسمت «بالمعلقة» لانها مقامة على أعمدة بداخل حصن «بابليون» (بجوار المتحف القبطى حالياً).

(١٠٩) حتى لا يهدمها الاعداء، بسبب مكيدة اليهودى الشرير.

(١١٠) (غل ٥ : ٢٢).

فالتفت الرجل (إلى الوراء) فرأى الأب البطريرك، فخر عند قدميه ساجداً، فأقامه البطريرك، وبارك عليه (رسمه بالصليب) وأمسكه بيده، ومشى (معه). فقال ذلك الرجل : «إلى أين تمضى ياأبى؟!». فقال له «حيث أمضى أنا تكون معى»!!

فقال الرجل للأب البطريرك : «وماهو عملى فى مرافقتك، وأنا أكثر العالم، خطأ؟!، دعنى أمضى، لأبيع ما معى، وادع لى».

فقال له الأب البطريرك : «لا تبرح - ياإبنى - من أمام عينى».

فلما أراد أن يهرب، لم يعطه الأب البطريرك حلا بذلك، فمشى معه بعدما ترك القفة، فى دكان أحد معارفه.

فلما اقتربوا من باب القلعة، صعد الأب البطريرك إلى الخليفة (الوالى)، وقال «سلام».

فقال له (الوالى سنان) : «ماذا قلت يابطريرك، فى ذهابك إلى (وجه) بحرى، وترد الماء الذى أهلك (أتلف) البلاد، والناس (إلى البحر)، لأنى منذ وقع هذا الأمر (طغيان البحر)، لم يهنأ لى بال، بنوم ولا بطعام، لأن الأموال التى كانت تورّد (لبيت المال) من هذه الأرض كانت أكثر من كل الأقاليم (المصرية) فماذا تقول؟!».

فقال له الأب البطريرك : «بقوة الله نمضى (إلى هناك) والذى يفعله الله هو الذى يكون» (وما أعظم حياة التسليم والإيمان بقدرة الله).

فقال له سنان الملك الخليفة (الوالى) بمصر : «أنا أمضى معك». وللوقت قام الملك، وركب معه - على الخيل - بعض من عساكره. وأقام نائباً عنه فى القلعة (فى غيابه) ومعه بقية العسكر.

أما هو فسار - مع الأب البطريرك - وتبعه عدد من الأقباط. وكان كلما اجتاز على بلد، كان يخرج منها عدد من الأقباط ويتبعوه، إلى أن صار معه جمعاً كبيراً.

ومروا على بنها العسل (بمحافظة القليوبية حالياً)، ونزلوا من على خيولهم غربها، وأقام الملك الخيام بجانب الكنيسة المساه «صهيون» (كنيسة أتريب الشهيرة، ومازالت بقاياها هناك). وبات هناك إلى الصباح.

ثم سافروا (شمالا) إلى أن أتوا إلى سمنود. وضرب الملك خيامه فيها على البحر (بجوار فرع النيل الدمياطى). ورأى المياة الكثيرة، كمثل الطوفان، فاغتم غماً شديداً.

ودخل الأب البطريرك إلى البيعة (كنيسة أبانوب الحالية) وقدم الصلوات مع الكهنة، وصلوا الليل كله، ثم قدموا ذبيحة «القداس»، وتناولوا من الأسرار المقدسة المحيية، جسد المسيح، ودمه الزكى الكريم. وصرف الشعب (بعد القداس).

وخرج ووقف خارج البيعة، والملك (الوالى) راكب (على جواده). وصلى (البطريرك) هو والكهنة والشعب جميعاً خلفه. ثم رفع الصليب بيده، وقال جميع الشعب **"كيرياليسون"** (يارب إرحم) عدة مرات.

وللوقت ارتفع الماء إلى فوق مقدار أربعين ذراعاً، واندفع قدام الناس نحو بحرى (شمالا) وتبعه الأب البطريرك، وخلفه الرجل الأشقر، والكهنة وكل الشعب، والملك

(الوالى) وعسكره تبعوه أيضاً، إلى أن أتوا إلى الدميرتين» (وهما قريتان قديمتان كبيرتان بشمال سمنود).

وكان الوقت مساء، فنزلوا فى الجزيرة (بفرع دمياط). وضرب الملك خيامه فيها، وسميت «جزيرة سنان» إلى اليوم.

ومن هناك ركبوا خيولهم، وصار الماء هارباً أمامهم (يتراجع شمالا) إلى أن أتوا إلى الزعفرانة، بوادى السيسبان. فضربوا خيام الملك (الوالى) بجوار القصر المنهدم، الذى يوجد أسفله جسد الشهيدة المختارة «دميانة» وبقية أجساد الشهداء (الذين استشهدوا معها وعددهم ٤٠٠ نفس).

وجلس الملك (الوالى سنان) فى الخيام. وأما أبونا البطريرك، فإنه سار (شمالا) هو والكهنة والشعب، والماء ينساب أمامهم (نحو البحر المتوسط)، وكان يجرى كمثل جرى السحاب، فى وسط الريح الشديدة. والله يعلم مقدار المسافة التى قطعها (نحو البحر).

ثم إن الأب البطريرك إلتفت إلى ورائه، فلم يجد خلفه سوى الرجل الأشقر - السابق ذكره - وخمسة كهنة من غير زيادة (من الجموع التى كانت معه) أما بقية الناس، فلم يواصلوا السير - من كثرة الجرى - ورجعوا. فقال الأب البطريرك (للباقين) الذين معه : «يأولادى، **إلى هنا**» (نقف ولا نتقدم شمالا).

ثم وقف من معه، وصلى قائلا : «اللهم - ربنا ومخلصنا يسوع المسيح - الذى خلق السموات والأرض، والبحار وكل مافيها، الذى يعرف مافى الأعماق، الجالس فى محل شرف قدسه، الذى أحاط اللجج (أمواج البحر) وأوقفها بالرمل سياجاً (حائطاً مانعاً للمياة البحرية) لئلا يغرق العالم (الشواطىء)، الآن - ياسيدنا - إقبل طلبة عبيدك نحن المساكين، وأوقف هذه المياة (البحرية)، واجعل لها جسراً وسياجاً (سوراً) بالرمل، كما كانت أولا، ولتصر هذه المعجزات بإسمك - أيها القدوس الأبدى - ويصير جسراً مانعاً للمياة كلها (حتى لا تغرق الدلتا من البحر مرة أخرى)، لأنك أنت الله الذى تخافك (تهابك) سائر الخلائق والقوات (= السمائية والأرضية)، ولك يجب كل مجد ورفعة، من الآن وكل أوان، وإلى دهر الدهور، آمين».

فلما فرغ الأب البطريرك من صلاته، وسجد على الأرض، هو ومن معه (شكراً لله)، **ظهرت أعجوبة عظيمة فى تلك الساعة**، وآية (معجزة) باهرة تذهل من يراها، وذلك أن الله الخالق لكل شىء، السامع دعاء الصالحين، ومخلص الكثير من الخطاة (التائبين) بطلبات (بصلوات وشفاعات) القليل من الأبرار، أثار فى تلك الساعة ريحاً شديدة، فى البحر المالح (البحر الأبيض المتوسط)، وارتفعت الأمواج جداً جداً، وأخرجت رمالا كثيراً - من البحر - أكواماً أكواماً!! وبقدرة الإله، **صار الرمل جسراً مانعاً** (من طغيان مياة البحر) **أفضل من الأول** (بدلا من السد الترابى الصناعى). ثم هدأت الرياح، وكأنها لم تكن. فعاد الأب البطريرك (إلى الزعفرانة) ممجداً الله.

وبعدما أقبل إلى الملك (الوالى سنان) حكى له كل ماحدث، فمجد الله. وقام واستقبل الأب البطريرك (بالترحاب)، وخر على الأرض ساجداً له!! فلم يدعه الأب البطريرك أن يسجد له، وأقامه بيديه، وقال له : «أيها الملك، لنسجد لله كلنا» (شكراً وحمداً، على كل ما صنعه معنا).

شهادة بحقيقة المعجزة وصحة الإيمان المسيحى :

فقال له الملك (الوالى) : «الآن، تحققت أن النصارى **على الصحة** (صحة الإيمان المسيحى) **والاستقامة**. والآن، أنا أقول لك يابطريرك الأقباط : ماهى أمنيتك التى أحققها لك؟!».

فقال له الأب البطريرك : «أريدك أن تساعدنى فى بناء كنيسة جميلة فى هذا المكان (الزعفرانة)، لأن لنا فيه أجساد شهداء من أيام عبدة الأصنام. (الرومان) قتلوهم بسبب عدم سجودهم للأوثان (المصنوعة من الذهب والفضة والحجارة)».

إعادة بناء كنيسة القديسة دميانة بالبرارى :

وللوقت أمر الملك (الوالى) سنان، بتنظيف المكان جيداً (من أتربة الهدم)، وأتى الأب البطريرك، وفتح الباب الذى يؤدى إلى الدرج (السلالم) ونزل سراً (بمفرده) إلى القبو، فوجد أجساد الشهداء مرصوصة، ورائحتهم أطيب من كل عطر!!

ووجد جسد الست الشهيدة دميانة، على السرير الغالى القيمة (الذى صنعته القديسة هيلانة أم الملك قسطنطين) وأجساد الأربعين عذراء أيضاً بجوار السرير، منفردين عن أجساد أولئك الشهداء (الأربعمائة) فتبارك منهم جميعاً، وصعد للسطح.

ثم أمر الملك (الوالى) بسرعة إحضار عدد كبير من البنائين، فبنوا فى ذلك المكان بيعة لطيفة، بقبة واحدة، فكملت فى يوم واحد، بحضرة الملك (الوالى) سنان. ودشنها الأب البطريرك (الأنبا خانيل الثالث)، فى اليوم الثانى عشر من شهر بشنس المبارك.

وحدثت فى ذلك اليوم عجائب عظيمة، وأشفية قوية، ومعجزات باهرة، وشاع خبرها فى كل البلاد (المصرية) وتقاطرت عليها جموع كثيرة من الناس، بالنذور والشموع والبخور (يقدمونها) بإسم الست المختارة الشهيدة «دميانة» وبإسم الشهداء جميعاً (هناك) أيضاً.

وكان تكريسها أولا فى أيام الملك البار قسطنطين (الكبير). وفى المرة الثانية فى أيام العرب، فى اليوم المبارك الثانى عشر من شهر بشنس المبارك، وصار هذا اليوم مشهوداً فى سائر الدنيا، وسيظل كذلك، إلى الأبد، آمين.

+ + +

خاتمة هذا المخطوط :

فالواجب عليكم - أيها الإخوة - أن تتشفعوا بهذه الست العظيمة «دميانة» الشهيدة

المختارة، وسائر الشهداء، ليكونوا جميعاً مساندين لكم (عند الله) فى كل أيام أعماركم.

ولنرجع الآن، إلى استكمال شرح هذا الموضوع، وما كان من (أمر) الملك، بعد بناء البيعة (كنيسة القديسة دميانة بالبرارى)، أنه لما رأى قوة العجائب دفع مائتى دينار للأب البطريرك، نذراً منه للبيعة.

ورتب لها الأب البطريرك كهنة وشمامسة وخدام وأوانى وأثاث.

وأمر الملك (الوالى سنان) بأن لا يشوش أحد على النصارى (المسيحيين) قط، ولا يتعرض لهم أحد فى شيء، وكانت لهم الراحة (من التجارب)، والهدوء (السلام) فى تلك الأيام، فى سائر أرض مصر جميعها (فى عهده).

وبعد ذلك رجع سنان (الوالى) إلى قصره، وكذلك رجع الأب البطريرك أيضاً إلى كرسيه (بمصر القديمة). وكان الملك (الوالى) يطلب حضور الأب البطريرك ويجالسه، ويتحدث معه ثم يصرفه بسلام. وكان فى كل يوم، يذيع ما جرى بهذه المعجزة الباهرة - أمام عسكره - وكل أيامه ومات.

وبعد شهر من الزمان (بعد دفن سنان) تنيح الأب البطريرك (الانبا خائيل الأول البابا السادس والأربعين سنة ٧٦٧م)، ونال الحياة الدائمة، عند السيد المسيح، الذى اختاره راعياً لشعبه. هذا الذى إياه نسأل، بشفاعة الست العذراء الطاهرة البتول «مرتمريم» (أم النور) والست العفيفة النقية، الشهيدة المختارة القديسة «دميانة»، ومن معها من الشهداء والشهيدات، أن يغفر لكم خطاياكم، وينشىء بالنشأة الصالحة أولادكم، ويقوّى شيوخكم، ويردكم إلى أوطانكم سالمين، ويرفع عن العالم كله : الغلاء والوباء والفناء وسيف الأعداء، ومقاومة الأشرار (للأبرار)، وكيد الفجار، ويحطم عنكم قوة الشيطان، ويثبتكم على الإيمان، ويديم عمارة البيع، برفع القربان فى كل مكان، إلى آخر الدهور والأزمان.

بطلبات من قبلت طلباتهم، وصعدت للسموات صلواتهم، وثبت فى العالم تذكاراتهم، وبالأكثر وبالأفضل شفاعة الست السيدة **"العذراء"** البتول (مريم) ومارمرقس الإنجيلى الرسول، وشفاعة الملائكة، ورؤساء الملائكة، والرسل والشهداء الأطهار، وكل القديسين الأبرار، والسواح والمجاهدين، والذين أرضوا الرب الإله بأعمالهم الصالحة، من الآن وكل أوان، وإلى دهر الداهرين، آمين.

كملت سيرة المجاهدة الشهيدة العظيمة المختارة عروس المسيح، القديسة البارة دميانة، بسلام من الرب، آمين.

وكان الفراغ من (نسخ) هذه السيرة المقدسة يوم الثلاثاء المبارك ١٢ بؤونة سنة ألف وأربعمائة للشهداء (سنة ١٦٨٤م)، رزقنا الله ببركة صلواتهم المقبولة، آمين، آمين، كيرياليسون.

+ + +

تم بحمد الله

الفهرست

الصفحة

بمناسبة العيد الفضى لكنيسة القديسة دميانة بالهرم، تم إعداد المخطوط الكامل لسيرة القديسة العفيفة "دميانة" والأربعين عذراء، اللواتى نلّن الأكاليل معها. وتهديها الكنيسة إلى شعبها خاصة، وإلى كل المؤمنين، ومُحبّى تاريخ القديسين بصفة عامة، لتكون مجالاً للتأمُّل بُعمق، فى فضائل وآلام أولئك العذارى الحكيمات، وإتماماً لوصية الكتاب : "انظروا إلى نهاية سيرتهم، فتمثّلوا بإيمانهم" (عب ١٣ : ٧). ونطلب من الرب أن تكون هذه السيرة سبب بركة لكل من يقرأها.

ونشكر الفنانة "بدور لطيف"، والفنان "يوسف نصيف"، على إهداء صورة الغلاف.